الجزء الثالث والرابع ٢٣٤ و ٢٣٣ المجلد العشرون



آذار ونيسان سنة ١٩٤٥ شهر ربيع الأول وربيع الآخر سنة ١٣٦٤

بقية ماترك الأجداد

اذا نظر المرء نظر المفكر المقدر فيما وصل الينا من كتب علماء العرب يعجب لتفننهم في التأليف وابداعهم فيه واكثارهم من الخوض في كل ما خطر لهم ببال في تلك العصور المظلمة عند الأمم الأخرى ، ومتى بحث الباحث في تراجم العلماء والأدباء يزيد عجبه كثر اذ يثبت له انه لم يعرف سوى جزء ضئيل مما كتبوا والباقي أتت عليه الكوارث .

وكنت أقدر ان النسبة بين الموجود والمفقود نسبة واحد الى عشرة فلما زاد اطلاعي أيقنت ان الموجود واحد من اربعين او خمسين وربما أقل لأن من المؤلفين من كتبوا كالجاحظ ثلثمائة وخمسين مصنفاً بين كتاب ورسالة فما بقي منها خمسة وعشرون كتاباً ورسالة والباقي فقد ، ومن المؤلفين من كتبوا مئة كتاب ورسالة فلم يبق منها سوى كتاب واحد ومنهم من كتبوا عشرات من الكتب ولم يبق منها كتاب ولا رسالة .

ومن المكثرين من التأليف والمجودين فيه امام اساء اليه المجتمع بقدر ما احسن هو اليه . ومن اعظم اساءته اليه انه لم يبق من عشرات من المصنفات وضعها في حياته سوى رسالة صغيرة في الأخلاق كانت الغاية في الابداع وضعاً وتنسيقاً . وهذا الامام هو ابوحاتم محمد بن حبّان البستي الذي ألف تآليف لم يسبق اليها ورواها عنه الثقات الاثبات وانتظمت له الامامة في الدين فعدّ صحيحه في الحديث أصح من سنن ابن ماجه وعرف الى ذلك الطب والنجوم . هذا الامام لم يترجم له المحدثون ولا الفقهاء ولا المتكلمون ولا الأدباء ولا اللغويون ولا الأطباء ولا المنجمون ، ولولا ما ترجم له ياقوت في مادة بست من معجم البلدان لما عرفنا

عنه شيئاً يذكر من الكتب . ولا يبعد ان يكون اصحاب التراجم قد وفوه حقه ولكن الكتب التي وصلت الينا لم تشر الى ذلك .

هذا الرجل الذي رحل في طلب الحديث في بلاد الاسلام (توفي سنة ٣٥٤) وسمع عن خلائق لا يحصون في خراسان والعراق والحجاز والشام ومصر والجزيرة وغيرها ، ولعله كما قال عن نفسه كتب عن الف شيخ ما بين الشاس والاسكندرية — هذا الرجل كان عالماً بالمتون والأسانيد وأخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره وكانت الرحلة في خراسان الى مصنفاته وقد وقفها وجعلها في دار مسبلة ، وأقام مسكناً للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والفقه ، وجعل لهم جرايات يستنفقونها داره ، وأوصى ببذل كتبه لمن يريد نسخ شيء منها من غير أن يخرجها من داره .

هذا الرجل العظيم حياً وميتاً هو الذي أغفل كتاب السير الترجمة له ، وهو من أصل عربي يتصل نسبه بالياس بن مضر ، وقد تولى القضاء أعواماً طويلة في سمرقند وغيرهـا ثم صرف عن القضاء بدعوى أنه زعم ان النبوات علم وعمل . والغالب أن سبب انصراف الوجوه عنه كونه صنف لأبي الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة ، وقيل ان الخليفة قتله بدعوى انه يعرف بعض العلوم الرياضية ، وهو في الثمانين من عمره . وقيل مات حتف أنفه والله اعلم .

والكتاب الباقي من جميع ما عني بتأليفه هذا البُستيّ الجليل هو (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) أحياه بالطبع أستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله . وقد قسمه الى مطالب في أدب النفس ناهزت الخمسين مطلباً مثل لزوم التقوى والعلم والصمت والحياء وترك القحة ولزوم التواضع ومجانبة الكبر والتحبب الى الناس ومداراتهم وافشاء السلام والمزاح المباح والاعتزال عن الناس ومؤاخاة الخاصة وكراهية المعاداة والتلون ومجانبة الحرص للعاقل والتحاسد والتباغض ومجانبة الغضب والطمع ولزوم القناعة والتوكل والرضا والعفو وصفة الكريم واللئيم والزجر عن قبول الوشاة وكتمان السر والنصيحة للمسلمين كافة والزجر عن التهاجر ولزوم الحلم عند الأذى واباحة جمع المال للقائم بحقوقه والحث على اقامة المروآت والزجر عن قبول الهدايا

وقضاء الحوائج والحث على طلب المعالي وإطعام الطعام والمجازاة على الصنائع والحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية وغير ذلك مما يستفيد منه الكبير والصغير ويتأدب به الأمير والأجير ويغني غناءه للرجال والنساء على السواء ٠

وهو يفتتح كل فصل بحديث صحيح ثم يشفعه بكلام منظوم أو منثور ينقله بالرواية ، ومنظومه كله مما يجدر بالناشئة حفظه لسلاسته وكثرة حكمه ، ثم يتكلم من عنده كلاماً يدل على العقل الواسع والعلم النافع وقد يورد في أكثر الفصول قصصاً تروق العامة والخاصة معاً ٠ نسق تأليفه تنسيقاً عجيباً لم يخل به من أوله الى آخره حتى جاءت المطالب كلها متساوية بالحجم والفائدة آخذة من الحسن والاحسان بنصيب وافر ٠ وجودة الأسلوب التي عرفت بها مصنفات الافرنج لعهدنا تجدها على أتمها في المجودين للتأليف في عصور الارتقاء الاسلامي ، وهذا الكتاب نموذج صالح منها ٠

قال ابو حاتم : لا يكون المرء بالمصيب في الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب ، والعاقل يكون حسن المأخذ في صغره ، صحيح الاعتبار في صباه ، حسن العفة عند ادراكه ، رضيّ الشمائل في شبابه ، ذا الرأي والحزم في كهولته ، يضع نفسه دون غايته برتوة (خُطوة) ، ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية في كل شيء صار الى النقص ، ولا ينفع العقل الا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان الا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأي الا بالانجال ، كما لا تتم الفرصة الا بحضور الأعوان ٠ ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه ، أخاف ان يكون حتفه في أقرب الأشياء اليه ٠ ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل ان يكون ، والواجب على العاقل ان يجتنب أشياء ثلاثة فانها أسرع في افساد العقل من النار في يبس العوسج ٠ الاستغراق في الضحك ، وكثرة التمني ، وسوء التثبت ٠ لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى الا لما يدرك ، ولا يَعِد الا بما يقدر عليه ، ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء الا بقدر ما عنده من الغناء ، ولا يفرح بما نال الا بما أجدى عليه نفعه منه ، والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولمعرفته رِفده ومحضره ، ولعدوه عدله وبره ، وللعامة بشره وتحيته ، ولا يستمين

الا بمن يحب ان يظفره بحاجته ، ولا يحدث الا من يرى حديثه مغنماً ، الا ان يغلبه الاضطرار عليه ، ولا يدعي ما لا يحسن من العلم ، لأن فضائل الرجال ليست ما ادعوها ولكن مانسبها الناس اليهم ، ولا يبالي مافاته من حطام الدنيا ، مع ما رزق من الحظ في العقل .

قال أبو حاتم : كفى بالعاقل فضلاً وان عدم المال بأن تصرف مساويء اعماله الى المحاسن ، فتجعل البلادة منه علماً ، والمكر عقلاً ، والهذر بلاغة ، والحدة ذكاء ، والعي صمتاً ، والعقوبة تأديباً ، والجرأة عزماً ، والجبن تأنياً ، والاسراف جوداً ، والامساك تقديراً ، فلا تكاد ترى عاقلاً الا موقراً للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، مواتياً للإخوان ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ، لا يتحرش بالأشرار ، ولا يبخل في الغنى ، ولا يشره في الفاقة ، ولا ينقاد للهوى ، ولا يجمح في الغضب ، ولا يمرح في الولاية ، ولا يتمنى ما لا يجد ، ولا يكتنز اذا وجد ، ولا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مراء ، ولا يدلي بحجة ، حتى يرى قاضياً ، ولا يشكو الوجع الا عند من يرجو عنده البرء ، ولا يمدح أحداً الا بما فيه ، لأن من مدح رجلاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه ، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية . والعاقل يكرم على كل حال ، كالأسد يهاب وان كان رابضاً ، وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح ، وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض ، وكلام العاقل وان كان نزراً حظوة عظيمة ، كما ان مقارفة المأثم وان كان نزراً مصيبة جليلة . و ن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه ، وآفة العقل العجب ، بل على العاقل ان يوطن نفسه على الصبر على جار السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء ، فان ذلك مما لا يخطيه على ممر الأيام ، ولا يجب للعاقل ان يحب ان يسمى به لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومن عقل العاقل دفن عقله ما استطاع ، لأن البذر وان خفي في الأرض اياماً فانه لا بد ظاهر في اوانه ، وكذلك العاقل لا يخفى عقله وان اخفى ذلك جهده ، وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل . اه

ومن الحكايات التي ساقها قوله : سمعت اسحق بن القطان البغدادي بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء (يعني الفقهاء والعباد) ، كان يتفقد

الصالحين ويتعاهدهم فقال لي : دخلت يوماً على احمد بن حنبل فاذا هو مغموم مكروب فقلت : ما لك يا أبا عبد الله . قال : خير . فقلت : ومع الخير . قال : امتحنت بتلك المحنة حتى ضُربت ثم عالجوني وبرأت ، إلا انه بقي في صلبي موضع يوجعني ، وهو اشد عليّ من ذلك الضرب . قال : قلت : اكشف لي عن صلبك ، قال : فكشف لي فلم أرَ فيه إلا أثر الضرب فقط ، فقلت : ليس لي بذا معرفة ولكن سأستخبر عن هذا ، قال : فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بيني وبينه فضل معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس في حاجة ، قال : أدخل ، فدخلت وجمعت فتيانهم ، وكان معي دريهمات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي ، ثم قلت : من منكم ضُرب أكثر قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثر ضرباً وأشدهم صبراً قال : فقلت له أسألك عن شيء فقال : هات ، فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ، ضرب على الجوع للقتل سياطاً يسيرة إلا أنه لم يمت ، وعالجوه وبرأ إلا أن موضعاً في صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر قال : فضحك ، فقلت : مالك . قال : الذي عالجه كان حائكاً . قلت : ايش الخبر . قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها ، قلت فما الحيلة قال : يُبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها وان تركت بلغت الى فؤاده فقتلته . قال : فخرجت من الحبس فدخلت على احمد بن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة . قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا قال : أو تفعل ؟ قلت : نعم قال : فقام فدخل البيت ثم خرج وبيده مخدتان ، وعلى كتفه فوطة ، فوضع إحداهما لي والأخرى له ، ثم قعد عليها وقال : استخر الله ، فكشفت الفوطة عن صلبه ، وقلت أرني موضع الوجع فقال : ضع اصبعك عليه فإني أخبرك به ، فوضعت اصبعي وقلت : ها هنا موضع الوجع ؟ قال : هاهنا أحمد الله على العافية ، فقلت : ها هنا ؟ قال : هاهنا أحمد الله على العافية ، فقلت ها هنا ؟ قال : ها هنا أسأل الله العافية ، قال : فعلمت انه موضع الوجع قال : فوضعت المبضع عليه ، فلما أحس بحرارة المبضع ، وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم حتى بطلته ، فأخذت القطعة الميتة ورميت بها ، وشددت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على

قوله : اللهم اغفر للمعتصم . قال: ثم هدأ وسكن، ثم قال : كأني كنت معلقاً فأصدرت .

ومن أجمل الفصول المسهبة التي استشهد بها المؤلف وصية الخطاب بن المعلى القرشي المخزومي ابنه وفيها يقول : لا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فان تكلمت فاختصر ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتنقيعها ، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذؤابة سيفك ، وتخليل أسنانك ، وادخال يدك في انفك ، و كثرة طرد الذباب عنك ، و كثرة التثاؤب والتمطي وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويغتمزون به فيك ، وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير اظهار تعجب منك ، ولا مسألة اعادة ، وأغض عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ولا سيفك .

واياك وأحاديث الرؤيا فانك ان أظهرت عجباً بشيء منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الأحلام واغتمزوا في عقلك ، ولا تصنّع تصنع المرأة ، ولا تبذّل تبذل العبد ، ولا تهلّب لحيتك [1] ولا تبطنها ، وتوق كثرة الحف ، ونتف الشيب ، و كثرة الكحل ، والاسراف في الدهن ، وليكن كحلك غِبّاً ، ولا تلح في الحاجات ولا تخشع الى الطلبات ، ولا تُعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم عدد مالك ، فانهم ان رأوه قليلاً هنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم .

ولا تُهازل أمتك ، واذا خاصمت فتوقر ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، وان سفه عليك ، فاحلم واذا هدأ غضبك فتكلم ، واكرم عرضك ، وألق الفضول عنك ، ولا تجهر بمنطقك كتنازع الأصم ، ولا تُخافت به كتخافت الأخرس ، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول ، واذا حدثت بسماع فانسبه الى أهله ، وإياك والأحاديث الغابرة المُشنعة التي تنكرها القلوب ، وتقفّ لها الجلود ، واياك ومضعّف الكلام مثل : نعم نعم ، ولا لا ، وعجل عجل وما اشبه ذلك .

واذا توضأت من الطعام فأجد عرك كفيك ، ولا تنخّع في الطسْت ، وليكن طرحك الماء من فيك مسترسلاً ، ولا تمج فتنضح على أقرب جلسائك ، ولا تعض نصف اللقمة ثم تعيد ما بقي منها منصبغاً فان ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء

(١) هلب الشعر نتف ما غلظ منه وتبطين اللحية أن يؤخذ مما تحت الذقن والحنك .

على مائدة الملك ، ولا تعب شيئاً مما يقرب اليك على مائدته بقلة خل أو تابل أو عسل ٠

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه ، واعلم ان كل امرىء حيث وضع نفسه ، وانما ينسب الصانع الى صناعته ، والمرء يعرف بقرينه ٠

قال : امنح البشر جليسك ، والقبول من لالاك ، واياك وكثرة التبريق والتزليق ، فان ظاهر ذلك ينسب الى التأنث ، واياك والتصنع لمغازلة النساء ٠ ذم الجاهل اياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من اخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسر أكبر ، ومن افتقر احتقر ، قصر في المقالة مخافة الاجابة ، والساعي اليك غالب عليك ٠

والحاصل فإن كتاب روضة العقلاء وثيقة في الأخلاق بديعة وفيها من أدب القدماء مالا يرى مثله في جماله الا في الأمهات العظيمة وفيه من الطرائف كل مفيد جديد ٠ قال المؤلف بعد اسناد أورده ، قال شعيب بن حرب قال لي شعبة : عقولنا قليلة فاذا جلسنا مع من هو أقل عقلاً منا ذهب ذلك القليل واني لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلاً منه فأمقته ٠ وقال حدثنا يحيى القطان عن شعبة : من الناس من عقله بفنائه ومنهم من عقله معه ومنهم من لا عقل له فأما الذي عقله معه فالذي يبصر ما يخرج منه قبل أن يتكلم ، وأما الذي عقله بفنائه فالذي يبصر ما يخرج منه بعد ان يتكلم ومنهم من لاعقل له ٠ فحدثت به عبد الرحمن ابن مهدي بعد ما رجعنا من عند يحيى فقال : هذه صفتنا يعني الذي عقله بفنائه ٠ واستحسن الكلام وقال : لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبة لعله سمعه من غيره ٠

وينقل مؤلفنا نكتاً كثيرة يلوّن بها موضوعه ويدخل فيه كل ما يتعلم منه ويثقف ومن هذه النكات ما رواه بسنده عن ابراهيم بن شماس قال قال لي الاكاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرو : ياابراهيم صحبت الناس خمسين سنة فلم أجد أحداً ستر لي عورة ولا وصلني اذا قطعته ولا أمنته اذا غضب فالاشتغال بهؤلاء حمق كثير ٠ وروى عن بعض الحكماء قال : اثنان ظالمان رجل أهديت له النصيحة فاتخذها ذنبا ، ورجل وسع له في مكان ضيق فجلس متربعاً ٠

محمد كرد علي

في زوايا العربية

آراء وملاحظات

— ٣ —

(زوايا في علم النحو)

أول هذه الزوايا التي اعنيها وجود غموض حكم في جواب النهي والنفي نحو قولك : « لا تخرج من هذا المكان تر العجب — أو — فترى العجب — أو — فالتعجب بكون نصيبك » ومثله : « الا تخرج من هذا المكان تر العجب — او — فترى العجب — او — فالتعجب بكون نصيبك » فلا تعلم انت ولا غيرك هل رؤيتك العجب اي للأمر العجيب مترتبة على خروجك أم على عدم خروجك من هذا المكان . فإن معنى العبارة يحتمل الوجهين قياساً على ما نعرفه من الكلام الفصيح في مثل هذا التركيب . فالواجب ان ينص في القاعدة النحوية على كون الحكم الواقع في الجواب نتيجةً إما للفعل السابق باعتباره مجرداً وإما لعدم هذا الفعل باعتبار الداخل عليه من نفي أو نهي . لا ان يبقى الحكم متردداً بين الطرفين . ولا يصح الاعتذار عن هذا الجواز وهذا التردد بوجود قرينة تبين المعنى المراد . فان هذه القرينة قد تظهر نحو قولك : « لا تقتربْ من النار فتحترق » وقولك « لا تقتربْ من النار فتسلم » فان السامع يعلم ان العبارة الأولى تنذرك بالاحتراق اذا اقتربت من النار والعبارة الثانية تعدك بالسلامة اذا لم تقترب من النار . ولكن القرينة العقلية التي نحتاج اليها قد لا يظهر لها انة كالمثال السابق : « لا تخرج من هذا المكان فترى العجب » أو كقولك : « لا تزر زيداً فيزورك بكرٌ » فان السامع تعوزه فيها وفي امثالها روح النبوة لكي يدرك نية المتكلم .

وعلى ذكر النفي أذكر نوعين من « لا » الموضوعة في الأصل للنفي . الأولى « لا » التي يسمونها زائدة نحو قولك : « فلان لا يضر ولا ينفع » فان لا الثانية

يعربونها زائده · وشرط الحرف الزائد ان يبقى المعنى على حاله بعد حذفه · فاذا قلنا : « فلان لا يضر ولا ينفع » كان معادلاً في المعنى لقولنا : « فلان لا يضر وينفع » نافين عنه الضرر والنفع كليهما · واری ان في المسألة نظراً وان حكمهم المذكور ليس مطرداً · والا فكيف نصنع بقول الشاعر من مدّاح البرامكة في المئة الثانية للهجرة وهو عصر قديم في أدبنا متاخم للعصر الأموي بحيث يعتمد على فصاحة أهله وصحة آرائهم · قال المادح :

عنـد الملوك مضرّةٌ ومنافع وأرى البرامك لاتضرُّ وتنفعُ

وبديهي انه اراد نفي الضرر عنهم واثبات النفع لهم لا نفيه كما نفى الضرر ·

وأما « لا » الثانية فهي التي يسمونها حرف عطف وان بقي لها وضعها في افادة النفي نحو قولنا : « زارنا زيد لا أخوه » فهم يقولون : لا حرف نفي · اخوه معطوف على زيد تبعه في اعرابه · — نعم انه تبعه في الاعراب ولكنه بواسطة لا خالفه في المعنى · فمن الحزازة في صدر المعرب ان يقول ان هذا الجزء من الكلام معطوف على ذاك والجزآن متناقضان · ومن لطف الحيلة على ما أظن ان يقال « لا » حرف عطف تعطف ما بعدها عما قبلها (لا عليه) اخوه معطوف عن زيد تبعه في اعرابه ·

وقد فكرت في هذه الواو التي تتقدم « إن » و « لو » الشرطيتين المستغنيتين عن الجواب ويسمونها حينئذ إن ولو الوصليتين نحو قولك « ارعَ مودة الصديق ولو قصر في مساعدتك — او — وان قصر في مساعدتك » قالوا ان هذه الواو هي الواو الحالية والجملة الواقعة بعدها في محل النصب على كونها حالاً وهو اعراب أراه يحوم حول الصواب ولكنه لا يصيب شاكلة الصواب بل الذي اراه اقرب الى الصحة وأتمّ انطباقاً على المعنى المقصود كون هذه الواو هي واو العطف نفسها عاطفة ما بعدها على شيء قبلها حذف لدلالة القرينة عليه · فاذا قلنا « ارع مودة الصديق وان قصر في مساعدتك » كان التأويل هكذا : « ارع مودة الصديق ان لم يقصر في مساعدتك وان قصر » ومثل ذلك قولنا : « سأبذل جهدي في هذا الأمر وان كان املي بالنجاح ضعيفاً » والتأويل : « ان لم يكن املي بالنجاح ضعيفاً وان كان

ضعيفاً » وقولنا « احسنت الى فلان ولو لم انتظر منه وفاء » والتأويل « لو انتظرت منه وفاءه ولو لم انتظره » الخ . واذا اعربنا الواو في مثل هذه التراكيب حرف عطف فلا بد من اعراب الجملة الواقعة بعد إن ولو ابتدائية لا محل لها .

وكثيراً ماالتفتُّ الى « ليس » المشهور انها فعل جامد فرأيت القول بحرفيتها في بعض احوالها مما قال به جماعة من النحاة غير بعيد عن الصواب وذلك اذا وليها فعل نحو قولك : « ليس ينفعك الا الصبر » فجعل ليس حرف نفي مثل « ما » أولى واقل تكلفاً من جعلها فعلاً وجعل اسمها ضمير شأن مضمراً . وكذلك اذا اكتفي بايراد اسم مرفوع بعد ليس نحو قولنا : « امامنا البئر وليس ماء » فمن المقبول الذي ينطبق على كثير من مناهج النحاة جعل ليس حرف نفي مثل ما او لا . واعراب ماء مبتدأ وخبره محذوف وتقديره موجود . كما انه لا بأس ابقاء ليس على فعليتها بتقدير « وليس ماء موجوداً » فالوجهان محتملان والتضييق باعتماد احدهما ورفض الآخر تعنت وعناد .

ومن مواضع النظر التي ينبغي ان يبت فيها قبول او رفض ما كان يختاره بنو تميم بشأن ليس وهم من القبائل الموثوق بعربيتها ولا تزيد على سبع أو ثماني قبائل منازلها في اواسط جزيرة العرب وقد اعتمد ائمة العربية كلامهم اكثر من اعتماد كلام غيرهم من سائر القبائل — اوجب التميميون الغاء عمل ليس اذا انتقض حكمها بإلا فهم يقولون « ليس الطيبُ الا المسك » بجعل الطيب مبتدأ والمسك خبره . وليس فعل جامد لإفادة النفي باطل عمله . فكأنهم في هذا المقام قالوا ضمناً بحرفية ليس .

ومما نحتاج اليه في كتبنا النحوية توحيد الحكم وصراحة النص من جهة قبول او رفض مجاراة الفعل للفاعل او نائب الفاعل في التثنية والجمع وهو ما يعبرون عنه بلغة « اكلوني البراغيث » ومن ذلك ان يقال « نفعاني ابواك » و « نفعوني اهلك » والمشهور افراد الفعل في هذه الحال بحيث يقال « نفعني ابواك — او — نفعني اهلك » . ولعلهم يجعلون امثلة هذا المذهب المروية عن القرآن الكريم وعن قدماء العرب مما يحفظ ولا يقاس عليه . والذي اذكره ان الشاعر الأمير ابا فراس الحمداني وهو من المولدين توفي في اواسط المئة الرابعة من الهجرة اختار هذا المذهب مرتين او اكثر في شعره .

ونحتاج الى صراحة الحكم في جواز ورود البدل وعطف البيان متعدداً ، كما يرد متعدداً كل من الخبر والنعت والحال .

ومما جاء في شعر الحسن بن هانئ وهو ابو نواس في مطلع له مشهور :

دع عنك لومي فان اللومَ إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

فالوجه الأفصح ان يقول في ختام بيته : « كانت هي الداءَ » بنصب الداء على انه خبر كان وجعل الضمير المنفصل « هي » مؤكداً للضمير المستتر في « كانت » المحسوب اسماً لها . ولكن الضرورة ألجأت ابا نواس الى طريق آخر في الاعراب جاعلاً « هي » مبتدأ والداءُ خبره وجملة المبتدأ والخبر خبراً لكانت . ولا شك ان كثيرين غير ابي نواس سلكوا هذا المسلك في معمولات كان وغيرها من النواسخ : فهل نقر ذلك على اطلاقه ام نرفضه بتاتاً ام نقتصر على مسامحة الشعراء به معتبرين اياه في جملة الجوازات الشعرية .

ومن التعريفات النحوية التي تحير الدارس ولا يستفيد منها شيئاً قولهم في تعريف الضمير المتصل : « هو الذي لا يبتدأ به ولا يقع بعد الا » فاذا وصل الدارس الى « الاّ » رأى ان من حكمها عدم دخولها على ضمير متصل . فبأي نتيجة يخرج الدارس المسكين من هذا التعريف الذي يشبه الدور الملتوي من مواطن الغلط او المغالطة في علم المنطق . وقد ذكرتنا هذه المناسبة حادثة ذلك السكران الطائف المصري وقد لقيه الشرطي ليلاً وأراد إيصاله الى بيته فسأله :

— ساكن انت فين يا أفندي ؟

— الله الله . انا ساكن ويّا اخي .

— أمّا شيء جميل ! واخوك ساكن فين يا شاطر ؟

— الله الله ! هو ساكن ويّاي .

— وانتم الاتنين ساكنين فين ؟

— ساكنين ويّا بعضنا .

وبعد ما يهتدي الشرطي بفضل هذه المحاورة الى بيت السكران يهتدي طالب النحو بفضل التعريف الآنف ذكره الى معرفة كنه الضمير المتصل .

وقصارى القول ان اول واجباتنا القضاء على كل ما فيه لغو او سخافة او غموض من تعريفات واحكام لغتنا وهي شطحات نادرة الوجود كتعريف الضمير المتصل اوليس الأسهل ان يقال فيه هو ما اتصل في صورة الخط بما هو له من فعل او اسم فاذا انفصل عنه خطأ فهو الضمير المنفصل ويحصر في الفاظ : هو وانت وانا واياي واخواتها تذكيراً وتأنيثاً وافراداً وتثنيةً وجمعاً ·

ومما يجب التنبيه عليه في احكام الجملة النحوية ان جملتين او اكثر من جملتين في عبارة واحدة قد تحسب بمجموعها جملة عامة ذات حكم خصوصي · وقد لا تحسب لها هذه الوحدة بل تظل كل جملة منها مكتفية بالحكم الذي يصلح لها وذلك حسب موقعها في الكلام · ولأجل ايضاح هذه النظرية اقدم مثالاً عليها ؛ اليك العبارة الآتية : « اذا سافر جارك رافقه ابنه » فهذه العبارة ذات جملتين · الجملة الأولى « سافر جارك » وهي في محل جر باضافة اذا اليها · والجملة الثانية « رافقه ابنه » ولا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم · هذا كل ما يقال في اعراب الجملتين من هذه العبارة · وحين نحولها الى الصورة الآتية : « قال لي فلان اذا سافر جارك رافقه ابنه » يبقى لكل من الجملتين في العبارة حكمها السابق ذكره ثم يضاف الى الجملتين حكم ثالث عام كأن الجملتين بمثابة جملة واحدة اذ ينبغي للمعرب ان يقول : « وجملة فعل الشرط مع جوابه اي اذا وفعلها وجوابها في محل النصب مقولة القول او مفعول قال جاري » وحين تحول العبارة الى صورة ثالثة هكذا : « ان جارك اذا سافر رافقه ابنه » تصبح الجملة الموحدة المؤلفة من فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر إنَّ · وقس على ما ذكر نظائره ·

ومن الأبحاث التي يتصدى لها علم النحو وعلم البلاغة معاً قسمة الكلام الى كلام خبري وكلام انشائي فهم يقولون ان الكلام الخبري هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته اي بغض النظر عن قائله · وأما الكلام الانشائي فهو الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً · مثال الخبر ان يقال : « ينتظر هطول المطر — المطر نافع » ومثال الانشاء ان يقال : « ما انفعَ المطرَ — بئس الجفاف » والتعريف المذكور مقبول لا بأس به

ولكن يمكن تداركه بشيء من التدقيق والايضاح . ولكي ابين للقارئ ان التعريف الآنف ذكره تخلله ثلمة وموضع اشتباه اخبره ان دارس العربية يفهم من شرح كتبه واساتذته ان قولنا : « ما انفعَ المطرَ » معناه : « شيءٌ عظيم جعل المطر نافعاً » وهذه العبارة داخلة في الكلام الخبري . والجملة المفسرة بها « ما انفعَ المطرَ » داخلة في الكلام الانشائي فكيف اداء المعنى بصورة معينة انشائياً وبصورة غيرها خبرياً . وقس على ذلك قولنا : « بئس الجفافُ » في الانشاء ومرادفه « الجفاف سيءٌ — او — الجفاف مذموم » في الخبر والصحيح ان بين الأدائين فارقاً وجدانياً يحتاج الدارس ان ينتبه اليه . وهذا الفارق هو ان الانسان بالقلب الانشائي لا يقتصر على الأداء البسيط باللسان او القلم بل يضيف الى ذلك تصويراً ذهنياً فالذي يقول « ما انفعَ المطرَ » هو بمثابة من يقول « ان المطر لنافع » ولكنه مع قوله ذاك يجتهد في تصوير هيئة الاعجاب والرضى مما يشعر به وهذا التصوير بالقالب الانشائي لا يستفاد بالقالب الخبري من الذي يقول : « ان المطر لنافع — او — شيء عظيم جعل المطر نافعاً » .

ومن ثمّ ينبغي ان يقال في تعريف الانشاء والخبر : « ان الانشاء هو ما يصور المعنى ذهنياً بقوالب مخصوصة من الكلام . وبما ان قوام الاداء به صورة ذهنية كان غير محتمل للصدق والكذب . وأما الخبر فيشترط فيه احتمال الصدق والكذب لأن قوامه للتعبير لا التصوير » .

بقي علي ان اذكر من الزوايا النحوية وجوب ايراد المعاني المختلفة لكلمة مفردة واطلاع الدارس عليها دفعةً واحدةً في موطن واحد لئلا تكون له مدعاة ارتباك واعنات ذهن لا ان يوزع مختلف ما يراد من هذه اللفظة على عدة ابواب في النحو بصورة غير تامة الوضوح فبينما يكون القارئ قد استوعب ذهنه ان المفرد هو ما يقابل المثنى والجمع في هذا الموطن اذا به يرى المفرد في موطن آخر يقابل المضاف وشبه المضاف وفي موطن ثالث يرى له مؤدى جديداً غير الأولين . فالذي أراه ان تجمع كل المعاني المطلوبة لهذا الاصطلاح النحوي في حظيرة واحدة حسب الشرح الآتي أو ما يشاكله :

ان المراد بالمفرد عدة أمور هي هذه :

المفرد ما كان مقابلاً للمثنى والجمع نحو رجل فهو مفرد بالنسبة الى رجلين ورجال ٠

المفرد ما كان غير مضاف ولا مشبه بالمضاف نحو قولنا « راكبٌ » فهو مفرد بالنسبه الى قولنا « راكب الفرس » او « راكب فرساً » ٠

المفرد هو ما يقابل الجملة وشبه الجملة فقولنا « تحصيل العلم » مفرد بالنسبة الى قولنا « تحصيل العلم نافع » فهو جملة ٠ وقولنا « عند فلان علم » فهو شبه جمله ٠

المفرد في باب العدد هو من الواحد الى العشرة ويلحق بها المئة والألف ٠ فالعدد المفرد بهذا المعنى يقابل العدد المركب من احد عشر الى تسعة عشر ٠ والعقود من عشرين فثلاثين فأربعين حتى تسعين ٠ والعدد المعطوف من واحد وعشرين الى تسعة وعشرين ثم من واحد وثلاثين الى تسعة وثلاثين وهكذا على هذا الترتيب الى تسعة وتسعين ٠

وعلى ذكر العدد نذكر معنى آخر للمفرد في ما يتعلق بالعدد وان كان هذا المعنى قلما يدخل في كلام النحاة بل في كلام الكتاب والرياضيين وهو أن العدد المفرد ويسمي ايضاً وتراً ما لا ينقسم الى شطرين متساويين بل يبقى منه باقٍ هو واحد ٠ فكل من هذه الأعداد ٣ — ٥ — ٧ — ٩ الخ هو عدد مفرد او عدد وِتر ويضاف اليها عدد ١ ٠ ويقابل العدد المفرد العدد المزدوج ويسمى أيضاً [شفعاً] وهو ما ينقسم الى شطرين متساويين بغير باق مثل ٢ — ٤ — ٦ — ٨ — ١٠ — ٥٠٠ الخ ٠

المفرد في باب موانع الصرف هو ما يقابل الاسم المركب نحو قولنا «زيدٌ» فهو مفرد بالنسبة الى « عبدالله » المركب تركيباً اضافياً ٠ والى « معدي كرب » المركب تركيباً مزجياً والى « شاب قرناها » المركب تركيباً محكياً او تركيب حكاية ٠

* * *

ولا بد لي من تذكير القارئ ان ما أوردته في اوائل هذا البحث من الأبواب السماعية يدخل بعضه في علم الصرف وبعضه في علم النحو ولكني استصوبت ايراده مجموعاً مستقلاً بنفسه لما بينه من رابطة السماع ٠ وعلى السماع كان مدار الكلام هناك ٠

* * *

زوايا في علم البيان

مما تناولته في غير هذا المقام بشأن علم البيان في فنونه الثلاثة المعاني والبيان والبديع ثلاثة أمور جوهرية اكره العودة الى اشباع الكلام فيها هنا ولكن سياق البحث يدعوني الى ايراد نحواها بالايجاز وهي هذه : الأمر الأول التداخل في بعض مباحث علم البيان مما يجب اجتنابه او على الأقل تنبيه الدارس الى مواضعه لكي يكون منه على بصيرة ومن ذلك الاحتراس والا يغال في البديع فهما من الاطناب في المعاني • والتهكم في البديع فهو الاستعارة التهكمية في البيان • والتشبيه والكناية والاستعارة ذكرت في البديع باعتبارها من المحسنات المعنوية كسائر تلك القوالب الجزئية مع انها اعظم قدراً بكثير فهي الأركان الأساسية لفن البيان وعليها يبنى إجماله وتفصيله • الى غير ذلك من التداخل الذي هو مدعاة حيرة للدارس الا اذا نُبه عليه عند الوصول الى مواضعه •

الأمر الثاني ان علم البلاغة يقتصر على جزئيات تراكيب الكلام في تقديم وتأخير • وحذف واثبات • واطلاق وتقييد • ووصل وفصل • واطناب وايجاز • ونحو ذلك • ولا ننكر اننا نستفيد من الالتفات الى هذه الجزئيات والعناية بها ووضع حدود ورسوم لها ولكن هناك من الكليات شيئاً كثيراً وهي احق بالالتفات والعناية لأن الاخلال بها يهدم بلاغة ما تريد اداءه من اوله الى آخره واما الاخلال بتلك الجزئيات فلا يهدم الا هذه الزاوية او تلك الناحية من الكلام لا الكلام المقصود بأمره • ولا بدع أن يكون الأمر كذلك ما دام قوام البلاغة مراعاة الكلام لمقتضى الحال وهذه المراعاة تتأتى في الدرجة الأولى عما أشير اليه وأريد به ايراد الفوائد والملاحظات والارشادات العامة لكل نوع من الموضوعات الكتابية والشعرية في ميادين المدح والهجو والرثاء والاعتذار والتنصل والتوبيخ والاستعطاف والتهديد وحسن التوصية والوصف والمداعبة وحسن المدافعة وقوة المهاجة وغير ذلك • فإذا ظللنا على اغفال هذه الكليات مكتفين قانعين بتلك الجزئيات كان مثلنا مثل رجل عني بتفقد وفحص الأدوات الصغيرة والمواعين البسيطة في داره ولم يهمه حسن تقسيم

الدار الى غرف منامة وغرف استراحة وغرف ضيافة وغرف طعام وطبخ وابواء مؤونة ولا الى حسن هندسة الأقسام في نسبة بعضها الى بعض ولا ما يلائم كلا منها من اثاث ورياش وزينات ٠

الأمر الثالث اعادة القسم الأكبر من المباحث البيانية والأنواع البديعية الى ثلاثة اركان هي : « الموافقة والمخالفة والترتيب » ٠

فعن الموافقة ينشأ الجمع والمشاكلة ومراعاة النظير وانواع الجناس والموازنة والتشطير والادماج والاستتباع والتشبيه والكناية والاستعارة والالتزام والسجع وغيرها ٠

وعن المخالفة ينشأ التفريق والجمع مع التفريق والطباق والمقابلة والتهكم وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح والاستدراك والاستثناء وغيرها ٠

وعن الترتيب ينشأ التدبيج والطي والنشر والاستطراد والتقسيم والتفويف والتعديد والتطريز والتلميح والتذييل وغيرها ٠

وأضيف هنا الى هذه الأمور الثلاثة ملاحظتين الأولى ان بعض كتبنا البيانية تذكر في أوائل فن البيان الدلالة الطبيعية والدلالة الالتزامية — والدلالتان من مباحث الفلسفة النظرية — فيتوقع الدارس ان يكون لها شأن عظيم في ما سيمر به من مباحث علم البيان فاذا هو لا يرى لها أثراً ولا يسمع عنها خبراً في سائر ابوابه ٠ ولا خير في ذلك فانها خارجتان عن علم البيان ٠ ولكن ما كان اجدر المؤلف بأن يهمل ذكرهما لأول وهلة فما معنى اشارته اليها بتلك الصورة السطحية المبهمة التي لا تسمن ولا تغني من جوع ٠

الملاحظة الثانية ان في باب الوصل والفصل من أبواب فن المعاني مجالاً لذكر مواقف عديدة يجوز فيها للبليغ الوصل والفصل اي استعمال الواو العاطفة وعدم استعمالها فلبست كل المواقف خلافاً لما يطلع عليه الدارس في قواعد ذلك الباب تحتم على صاحبها إما باتباع الوصل واما باتباع الفصل بل يجوز الامران اذا لم يعترض الجواز مانع كالالتباس ونحوه ٠ مثال ذلك ان يقول قائل « رئيتُ لتذلل فلان ووثقت به ثقة لم تكن في موضعها ٠ ان الكريم يُخدع » فيجوز في الجزء الأخير من هذه العبارة ان يقال « ان الكريم يُخدع — او — وان الكريم يخدع

— او — والكريم يخدع » وان يقال : «سيندم الظالمون على ما اقترفوه — سقيا لمرارة الندم عاقبةً وعقاباً» فيجوز أيضاً ان يقال « وسقيا لمرارة الندم الخ » . وقال ابو نواس :

ياحبذا سفوان من متربّع ولربما جمعَ الهوى سفوانُ

فلو اسعفه وزن الشعر وقال « لربما جمع الهوى سفوان » لما كان عليه حرج . سفوان اسم موضع . متربَّع القوم ومرتبعهم المكان الذي يقضون فيه فصل الربيع .

وقال ربيعة بن مقروم الضبي من شعراء ديوان الحماسة لأبي تمام :

ودعوا نزال فكنتُ اول نازل وعلامَ اركبه اذا لم انزل

افما كان يجوز له استعمال الفصل بأن يقول «علامَ اركبه» لو ساعده عليه الوزن العروضي

وقال الحارث الذهلي من شعراء الحماسة ايضاً :

وزعمتمُ انْ لا حلوم لنا ان العصا قُرعتْ لذي الحلم

فلولا تقيده بالوزن لساغ له ان يقول : «وان العصا قرعت الخ» . وقال السموأل بن عادياء في لاميته الفخرية المشهورة :

سلي ان جهلتِ الناس عنا وعنهم وليس سواءٌ عالمٌ وجهولُ

فله ان يقول : «وليس سواءٌ — او — فليس سواءٌ» . واذا ضربنا صفحاً عن الوزن امكنه استعمال الفصل بحيث يقول « ليس سواءٌ » .

* * *

زوايا في العروض والقافية

ان ما كان من كتبنا العروضية حاوياً بعض افاضة وتفصيل يذكر فيها ان جماعةً من شعرائنا في صدر الاسلام وفي ما يليه من عصور المولدين قبل وضع علمي العروض والقافية خالفوا ما عليه الجمهور من الاحكام بارتكاب حذف نون مفاعلين في الطويل ومن اشباع واختلاس في غير مواضعها المنصوص عليها ومن ارتكاب عيب انواع من السناد في القافية في نحو: « قابلُ وتقابَلوا » و«جاهلُ ويجهلُ» الى غير ذلك من الخلافات ولا نرى الأئمة حكموا بحظرها او بجواز القياس عليها . فهل يليق بنا ترك هذا الموقف غامضاً يدعو الى المكابرة والمماحكة تارة والى سوء الجدال وكثرة قيل وقال طوراً .

ان الأكثرين يرون قبح الجمع في القوافي بين نحو «جاهل ومجهل» واقل منه قبحاً في نحو «سافروا ومسافر» فاذا كانت حركة الدخيل وهي الفاء هنا اختلفت بين الضم والكسر كان الأمر مقبولاً عندهم لأن الضم والكسر كليهما من الحركات الثقيلة بخلاف الفتح على احدهما والفتح حركة خفيفة · فهم لا يرون بأساً في قافية البيتين الآتيين ·

توهم واشينا بليل مزاره فهمّ ليسعى بيننا بالتباعُدِ
فعانقته حتى اتحدنا تعانقاً فلما أتانا لم يجد غير واحدِ

وقد كثر في شعرنا العربي اختلاف رنة الصوت في القافية المقيدة اي الساكن رويها جامعين بالمنظومة الواحدة بين نحو «غريبْ وضروبْ» وبين نحو «رِهِمْ · وَنهمْ · وُنظمْ» · وهو عندهم يحسب عيباً ويسمونه سناد توجيه وأراهم على حق في حظره لأن قوام احكام القافيه هو رنة الصوت واختلاف الرنة في ما ذكرناه اظهر وادعى الى نبو السمع من نحو «جاهل ويجهل» ولكننا مع ذلك لا نكاد نرى شاعراً قديماً او مولداً او معاصراً الا تسامح فيه فهل نظل على هذا التسامح ونقرره فينا ام نرجع الى احكام العروض والحكم الطبيعي في حاسة السمع فنقرر حظره ·

* * *

زوايا في نقل الكلام المجازي الى لغتنا

مما يزيد في ميدان الأقلام بيننا زيادةً مطردة على مدى واسع كثرة ما ننقله ونحذو حذوه من الكلام الافرنجي · ولا شك ان من المصاعب والمتاعب في هذا السبيل نقل الألفاظ الفنية عندهم الى لفظ عربي فني عندنا قد يكون قديماً في كتب أدبنا فنبحث عنه ونثبته في موضعه ومن ثم نجدد له حياةً طيبة بعد ما كان دفيناً او شبه دفين · وقد لا نجد لهذا اللفظ الفني ما يعادله مما استعمله اسلافنا في العربية لأن معنى هذا اللفظ ومدلوله امر مستحدث نشأ عن تقدم الاكتشاف والاختراع والتحقيق العلمي او عن تعدد مصطلحات البشر في معايشهم واعمالهم ومعاملاتهم فلا بد لنا حينئذ من ان نتواطأ على لفظ له جديد في لغتنا عن طريق الاشتقاق

او طريق التشبيه والاستعارة او طريق النحت اذا وسعنا سلطان النحت في لساننا كما فعل الفرنجة في السنتهم وقد سبقت الاشارة الى ذلك في اوائل بحثنا الحاضر .
ان طوائف الألفاظ الفنية في صناعة وزراعة وتجارة وادارة وسياسة وجندية وقضاء وطب وبالاختصار في كل علم نظري او عملي تتألف منها مصاعب جمة ولكن الذي يهون خطبها انها على اتساع ميادينها وتشعب فروعها يمكن استقصاؤها او ما يقارب هذا الاستقصاء وتتسنى الاحاطة بها او الاحاطة بمعظمها في نصوص منظمة صريحة يحفظها الأديب او يرجع اليها في مظانها كلما خانه حفظه وخذلته ذاكرته فقد حوت الكتب الشيء الكثير من هذه الألفاظ الفنية . وما نحتاج فيه الى لفظ جديد لم تحوه الكتب يساعدنا المعنى المطلوب على التماس اللفظ الذي يلائمه . فهذه الناحية من التعريب لا تطلب منا اذن قواعد وارشادات وملاحظات عامة ما دام مرجعها الى النص والحفظ .

ولكن الصعوبة العظمى والعقبة الأشد وعورةً هي في نقل الكلام المجازي من لسان الافرنج الى لساننا حيث لا مطمع لنا في احاطة واستقصاء وايراد نصوص وحفظها ومن ثم يعوزنا في هذه الناحية الاستعانة بقواعد وملاحظات عامة نتخذ منها مقاييس لكل ما نود نقله من مجاز افرنجي الى مجاز عربي . وقد بسطت الكلام بسطاً كافياً بهذا الشأن في مقال ادرجته في مجلة المجمع في جزء آذار ونيسان من سنة ١٩٤١ بعنوان « نظرة في الكلام المجازي » ولست أود ان اعيد هنا ما قلته هناك او اعيد منه قسماً كبيراً ولكن لا بد لي من تكرير التنبيه على وجوب مراعاة الطابع العربي جهد المستطاع . فهل يمكن اتفاق جماعة كبيرة من خدام لغتنا المحققين على وضع حدود ورسوم تفي بالمطلوب من جهة قبول ما يجب قبوله من مجاز الافرنج ورفض ما ينبغي رفضه . نعم اني ذكرت شيئاً غير يسير في كتابي « فن التعريب » ثم في مقالي الآنف ذكره ولكن الذي أوردته انما جاء على سبيل الاستئناس والتمثيل لا على سبيل التدقيق والاستيعاب مما لا يصح ان يدّعيه قلم واحد بل ليس من الحق ان يطالب به علم واحد . ولعلنا اذا تمت لنا هذه الأمنية ولو رويداً رويداً في مهلة سنوات نتخلص ونخلّص لسان مضر المبين من ركاكات ورطانات ومخالفات

ينصب علينا سيلها كل يوم وقد عرفنا أولها ولا نعرف كيف يكون آخرها ولا متى يكون ؟ تخلص من امثال هذه القوالب الافرنجية التي لم تجر قبل اليوم على لسان عربي ولا تناولها قلم عربي ولا تشربها ذوق عربي بل لم تخطر على بال واحد من أداء العروبة الصحيحة : يقولون « احترام عميق » عوض « احترام عظيم » و « مد اليه يداً مستجية » عوض « مد اليه يد الحياء — او — مد اليه يده مستحيياً » و « جبهة هادئة متكبرة » عوض « جبهة عليها سمات الهدوء والتكبر » « و كنت اعده مثل بريء » عوض « كنت اعده بريئاً » وقولهم في توزيع عنوانات فرعية على موضوع يتناول سيرة احد العظماء : « فلان الشاعر — فلان الكاتب — فلان السياسي — فلان رب البيت » عوض ان يقولوا : « فلان شاعراً او كاتباً او سياسياً او رب بيت » ومن القوالب العربية أيضاً في مثل ما تقدم ان يقال : « فلان في كتابته او شعره او شاعريته او سياسته او معيشته البيتية » ويقولون « انه بهذا المقدار فاضل حتى يحب أعداءه » عوض « قد بلغ من فضله — او فضيلته — انه يحب اعداءه » او « ان فضيلته قضت عليه حتى بمحبة اعدائه » . و « فلان رغماً عن غناه بخيل » عوض « فلان على غناه بخيل » او « فلان بخيل مع ما هو عليه من الغنى » ويقولون « هذه النقطة من البحث » عوض « هذه الناحية من البحث — او — هذه الجهة من البحث او هذا الجانب منها » وأما النقطة في مثل هذا المقام من الكلام العربي فلا تبعد عن داء النقطة .... كما لا يبعد عن رعدة دور الحمى قولهم المتواتر في الترجمة السخيفة « فلان لعب في المسألة دوراً مهماً » عوض « كان له فيها مدخل كبير او شأن عظيم » .

وانكى من كل ما ذكر ان جماعة من كتابنا في هذه الأيام اولعوا بقولهم « الوطن الأم » ناقلين العبارة حرفياً عن اللغة الفرنسوية . والفرنسيون ينتظر منهم ان ينطقوا بما ذكر لأن لفظ الوطن عندهم مؤنث فيوافق ان ينعت بلفظ أم . وأما في العربية فالوطن مذكر والجدير به ان ينعت بالأب فيقال « الوطن الأب » واذا توسع قومنا في هذه الخطة بإلزام لغتهم العربية مماشاة لغة الفرنسيين تذكيراً

وتأنيثاً فنراهم غداً او بعد غد يقولون «شمس ساطع وقمر منيرة» لأن لفظ الشمس عند أولئك مذكر ولفظ القمر مؤنث ،

هذا ما اشير اليه في المقام الحاضر من وجوب اتخاذ الحيطة لصون قوالبنا العربية ووقاية ما تخطه اقلامنا وتنطق به السنتنا من كل ركاكة وصبغة اعجمية ما دام استعرابها بين أيدينا امراً متيسراً . ولا يتوهمن القارئ من الانتقادات الآنف ذكرها اني اشير بالجمود والتقييد في كل اداء وكل تعبير . هيهات ذلك مما اعتقده واقصده هيهات وانا الذي قال في مقام آخر ولا أزال قائلاً به وهو هذا :

ان الكلام المجازي الافرنجي يحسن نقله الى اللغة العربية حسب لفظه وأسلوبه في الحالة الآتية : اذا كانت الصورة المجازية مسموعة شائعة في لساننا نحو : «عقد حديثه — ضرب العدو معقلاً — راية منصورة — عقل ناضج — صارخ الشقاء — يقلُّ الصولجان الخ» ويدخل في هذا السلك كل ما كان وارداً على طريق مجاز شائع تشبيهاً كان او استعارة او كناية فهو غير محسوب من خصائص اللسان العربي ولا من خصائص اللغات الافرنجية . ومن امثلته المنقول بنصه الى لغتنا قول بعضهم : «كانت تنظر بحنين الى طفلها وما هو الا وعاء فارغ سملأه حادثات الليالي» وقول الآخر : «كان ذلك الفلاح النشيط وحوله أولاده وحفدته كالشجرة الباسقة كللها ثمرها الناضج» .

وعند هذا الحد أمسك القلم معيداً حث الهمم على تعبيد كل طريق وتمهيد كل عقبة بشأن ما ذكرته وما لم أذكره قصوراً مني او اقتصاراً من ميادين اللغة العربية والأدب العربي .

(اللاذقية) ادوار مرقص

عثور على عثار (1)

عثرتُ في معاجم اللغة على خطأٍ قديم عثرتْ به أقلام النساخ ولا أقول المؤلفين فأحببتُ التنبيه اليه بالكلمة التالية : قلتُ لأديبٍ لغويٍّ مدققٍ من إخواننا : ما تقول إذا نقلتُ اليك عن معاجم اللغة ان خَلَجان العين واختلاجها قد فُسرا بطيرانها . وانه اذا قيل خَلجت أو اختلجت عينُ فلان كان المعنى أن عينه طارت . فتعجب الأديب من ذلك وسألني : أيُّ معجم يقول هذا ؟ قلت كل المعاجم الموثوق بها التي بين أيدينا : الصحاح ومختار الصحاح واللسان والقاموس . قال هذا خطأ يمكن الرجوع في تصحيحه إلى المخطوطات الأصلية لهذه المعاجم . قلت : رجعت إليها فوجدتها كالمطبوعات التي أخذت عنها : راجعت ثلاث نسخ من مخطوطات القاموس فوجدتها تفسر خلجت العين واختلجت بطارت اي بفعلٍ ماضٍ من الطيران . ومثلها مخطوطات اللسان والصحاح ومختار الصحاح المحفوظة في دار الكتب الظاهرية . بل رجعت أيضاً الى نسخة القاموس التي ترجمها الى التركية عاصم افندي فاذا هو كذلك يفسر خلجت العين واختلجت بطارت . ومن المعاجم الحديثة اقرب الموارد والبستان فانهما فسرا الاختلاج بذلك . ومن العجيب أنه ما من مؤلف من هؤلاء المؤلفين أو ناسخ أو مصحح أو مطالع علق على هذا التفسير ما يشير الى ارتيابه بصحته . قال الأديب : ولا الزَّبيدي شارح القاموس قلت ولا الزبيدي . لكنه عقب على تفسير اختلجت بطارت بقوله : إن هناك من فسرها باضطربت . وهذه عبارته : (ومن المجاز خلجت العين تخلج خلجاً وخلوجاً وخلجاناً اذا طارت ومثله في الصحاح كاختلجت وتخلجت . وفسره غيرهما (أي غير صاحب القاموس وصاحب الصحاح) باضطربت . وقال شمر (بن حمدويه اللغوي) التخلج التحرُّك : يقال تخلج الشيء واختلج اضطرب وتحرك . ووقع في كلام الأقدمين العمومُ في العين وغيرها (يعني من أعضاء الجسد) ففي اللسان خلجه بعينه وحاجبه غمزه . والعين تختلج

(1) قرئت هذه الكلمة في إحدى جلسات المجمع .

أي نضطرب) انتهى كلام الزبيدي . ونقله لكل هذا بعد ان فسر صاحب القاموس الاختلاج بالطيران يُشعر بشيء من ريبةٍ بهذا التفسير . وكان عليه أو على شيخه ان يصرّحا بهذا الارتياب حسب عادتهما . والاّ فان تفسير اختلاج العين بطيرانها أمرٌ بدعٌ : إذ لو كان هذا التفسير حقاً لكان من المتوقع ان يذكروا في مادة (ط ي ر) أن طارت العين يكون بمعنى اختلجت . ولم نرهم قالوا ذلك ولا نقلوه عن أحد . ولو قيل ان طيران العين مما يتجوّز به عن اختلاجها لكانوا ذكروا ذلك او ذكره الزمخشريُّ في أساسه . وهو لم يذكره . وكيف يذكره ولا علاقة بين طيران الطائر متنقلاً من مكان الى مكان وبين الاختلاجِ الذي هو اضطراب الشيء وهو باقٍ في مكانه وفي لهجاتنا العامية ننسب الطيران الى العين لكن لا بمعنى الاختلاج الذي هو الاضطراب وارتجاف الأجفان بحركةٍ اضطرابية بل بمعنى أنها إيفت وذهب نورها بالجملة وهو ما يريده عامة زماننا مذ يقولون ضربه على عينه فطارت أي عَوِرت . فهل يصحّ للصحاح ومن تابعه أن يفسروا الاختلاج بكلام عامة زمانهم على فرض أنهم كانوا يفعلون كعامة زماننا في استعمال طيران العين ؟

عندها قال أديبنا وما رأيك أنت في ذلك ؟

قلت رأيي أن كلمة (طارت) في مخطوطة الصحاح الأصلية أو غيرها من المصادر اللغوية القديمة هي محرفة عن (حارت) بالحاء المهملة وقد أخذت عنها المخطوطات الأخرى جيلاً فجيلاً ثم أُخذت عنها المطبوعات . وذهب عن الشراح والمصححين الانتباه اليها أو التعليق عليها وتفسير خلجت العين واختلجت بفعل (حارت) هو الصواب والملائم للمعنى الأصلي الذي يفهم من المادتين مادة (خلج) و (حير) كما أنه متسق مع المعاني المجازية لكل من هاتين المادتين فإن معنى التردّد والتحرّك مع بقاء الشيء المتحرك في مكانه هو الذي يجمع بين مادتي (الخلج والحير) وينفخ فيهما من روحه .

خلج الشيءَ حرّكه . وأخلج حاجبيه حركهما . وتخلج الشيء تحرك واضطرب وفلان يتخلج في مشيته يتمايل . ويقال : لا يخالجني في هذا الأمر شكٌ اي تردّد

ومثله تخالج في صدري شيء اي تردّد ٠ ومنه سمي خليج البحر خليجاً في قول بعضهم : لأن الماء لا يجد فيه منفذاً ينسرب منه فيتردد ويضطرب في مكانه ٠ هذا ما نستشهد به على مادة خلج أما مادة (حير) فكذلك اذ يقال :

حار الماء تردّد كأنه لا يدري كيف يجري ٠ والحيران شبه حوضٍ يتحير فيه ماء المطر ٠ وحار الرجل جهل وجه الصواب في الأمر فتردد في فعله أو تركه ٠ والمستحير سحابٌ ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه ٠ وحار الطرف حار تردد ٠ ومثله حار بصره كما في الأساس ٠ والنظر يحار أي يتحرك ويضطرب ٠ قال كعب بن جعيل الشاعر الأموي :

تزين حتى تسلب المرء عقله وحتى يحار الطرف فيها ويسكرا

و (يسكر) من باب نصر بمعنى يحار ويضطرب أيضاً وفي المخصص عن صاحب العين (خرجت العين حارت وبرق البصر تحير فلم يطرف) فبناء على هذا كله وجب ان يقال في تفسير اختلجت العين يقال تحركت وترددت في محجرها مع بقائها فيه لا منتقلةً منه وهذا المعنى نفسه هو الذي يفهم من كلمة حارت حقيقةً ومجازاً ٠ فما وقع في المعاجم من تفسير اختلجت بطارت ينبغي إذن تصحيحه بحارت ٠

ونختم البحث بهذه اللطيفة ٠ وهي ما رواه ابن جني قال : حدثني المتنبي شاعرنا وما عرفته الا صادقاً ٠ قال : كنتُ عند منصرفي من مصر في جماعةٍ من الأعراب وأحدهم يتحدّث فذكر في كلامه فلاةً واسعة فقال : (يحير فيها الطرف) فقال له آخر من رفاقه يلقنه سراً من الجماعة (يحار يحار) اه فأعراب البادية كانوا لعهد المتنبي يفطنون الى ما يقع في كلامهم من الأغلاط ٠ ويتذممون منه ٠ وينبه بعضهم بعضاً اليه ٠

المغربي

الشعر

- ١ -

(ماجاء في ذم الشعر)

قال : الله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) وقال تعالى في حق النبي ﷺ وما هو بشاعر فيقال لو كان الشعر صفة مدح لما نفاه عنه وقال ﷺ لأن يتلئ قلب الرجل قيحاً خير من ان يملئ شعراً . وكتب جعفر بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي المعروف بالمحقق فقيه الإمامية المتوفى سنة ٦٧٦ هـ الى والده بهذه الأبيات :

ألم تر اني كل يوم الى العلا ... اقدم رجلاً لا تزل بها النعل

وغير بعيد ان تراني مقدماً ... على الناس حتى قيل ليس له مثل

تطاوعني بكر المعالي وعونها ... وتنقاد لي حتى كأني لها بعل

ويشهد لي بالفضل كل مبرز ... ولا فاضل الا ولي فوقه فضل

قال فكتب الي فوق هذه الأبيات : لئن أحسنت في شعرك لقد اسأت في حق نفسك أما علمت ان الشعر صناعة من خلع العفة ولبس الحرفة والشاعر ملعون وان اصاب ومنقوص ولو أتى بالشيء العجاب وكأني بك قد دهمك الشعر بفضيلته فجعلت تنفق منه ما تلفق بين جماعة لا يرون لك فضلاً غيره فسموك به وكان ذلك وصمة عليك آخر الدهر أما تسمع :

ولست أرضى ان يقال شاعر ... تباً لها من عدد الفضائل

قال فوقف عند ذلك خاطري حتى كأني لم أقرع له باباً ولم ارفع له حجاباً .

(ما جاء في مدح الشعر)

قال رسول الله ﷺ ان من الشعر لحكمة وقال ﷺ ان من البيان لسحراً لما اعجبه كلام عمرو بن الأهتم . وعنه ﷺ روّوا أولادكم لامية الشنفرى ولا ترووهم مقاطعة آل غسان كما يأتي . وقد استنشد رسول الله ﷺ الشعر واستحسنه

ومدح قائله وأجاز عليه وعفا بسببه عمن يستحق العقاب وقبل وصيلة من توسل به وشفع من استشفع به والصحابة كان فيهم الشعراء ومن يستنشد الشعر ويجيز عليه والنبي ﷺ كان له منهم شعراء يهجون المشركين عبدة الأوثان وشعراءهم ويجيبونهم ويحامون عن النبي ﷺ منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة وغيرهم . وكذلك التابعون وتابعو التابعين والعلماء في كل عصر وجيل . وكفى ذلك دليلاً على فضيلة الشعر ومدحه .

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : روهم الشعر روهم الشعر يمجدوا وينجدوا . وقال الزبير بن بكار رووا أولادكم الشعر فانه يحل عقدة اللسان ويشجع قلب الجبان ويطلق يد البخيل ويحض على الخلق الجميل . ومما قيل في مدح الشعر من الشعر قول القائل :

ومستخف بقدر الشعر قلت له لا ينفق المطر الا عند عطار

وقول الآخر :

وفي الناس من لا يحسب الشعر رتبة وما الناس لولا الشعر الا بهائم

وقال ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الغزي المتوفى سنة ٥٢٤ :

ان يكرهوا نظم القريض فعذرهم باد كحاشية الرداء المعلم
هم محرمون عن المناقب والعلا والشعر طيب لا يحل لمحرم

وقال أيضاً

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق
لم يبق في الدنيا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى ويخان فيه مع الكساد ويسرق

وقال الأمير ابو فراس الحارث بن سعيد الحمداني من أبيات

الشعر ديوان العرب ابداً وعنوان الأدب

أما ما جاء في ذم الشعر مما مر فمحمول على اتخاذه للهو واللعب والغناء به كما كانت تستعمله الملوك والأمراء وعلى استعماله فيما لا يرضي الله تعالى من مدح من يستحق الذم وذم من يستحق المدح والكذب فيه وثلب أعراض الناس بالهجاء

او الاشتغال به عما اوجبه الله تعالى او غير ذلك وامتلاء القلب منه المشار اليه في الحديث الشريف يشير الى الإكثار منه والاشتغال به عن كل شيء والشعراء الذين ذمهم الله تعالى في الآية السابقة قد بين صفتهم فالمذمومون هم اصحاب تلك الصفة . واما آية وما هو بشاعر فهي رد على قريش الذين قالوا عنه ﷺ انه شاعر ولا دخل لها بذم الشعر ولا بمدحه ان لم تدل على عظم قدر الشعر عند العرب . وأما قول بعض العلماء المتقدم ان الشعر صناعة من خلع العفة ولبس الحرفة وجعله ملعوناً ومنقوصاً فالمراد به اتخاذ الشعر حرفة يستجدى بها الناس ويمدح به من لا يستحق المدح او يمدح الشخص بما ليس فيه ويهجى به الناس وتثلب اعراضهم وتقذف به المحصنات ويتعاطى فيه الفحش ونحو ذلك ولهذا جعله صناعة من خلع العفة ووصمة يعاب بها الرجل طول عمره . وهذا العالم خاف على ابنه ان يتعاطى صناعة الشعر ويشتهر به ويشغله ذلك عما كان يتوسمه فيه من الارتقاء في درجات العلوم وكل هذا ليس ذماً للشعر من حيث انه شعر بل ذم لما يعرض بسبب تعاطيه واتخاذه صنعة كما كان يقع من الشعراء الذين يتخذونه للمدح والهجاء من الانشغال به عن الكمالات والاتسام به على النحو المذكور .

(مزية الشعر)

ان للشعر من بين انواع الكلام مزايا ليست لغيره قال أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه العقد الفريد : الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها والمقيد لأيامها والشاهد على حكامها حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في استار الكعبه فمنه يقال مذهبة امرئ القيس ومذهبة زهير ويقال لها : «المعلقات»

لامرئ القيس (قفا نبك) لزهير (امن ام اوفى) لطرفة (لخولة اطلال) لعنترة (يا دار عبلة) لعمرو بن كلثوم (الا هبي) للبيد (عفت الديار) للحارث ابن حِلِّزَة (آذنتنا ببينها اسماء) .

ومن كلف العرب بالشعر وسمو منزلته عندها انها كانت اذا ارادت انشاد قصيدة للمهلهل لا تنشدها حتى تغتسل اعظاماً لها واعجاباً بها ٠

فمن مزايا الشعر التي ليست لغيره من انواع الكلام انه لكونه مقفى وفي اوزان خاصة يسهل حفظه ويروق انشاده فيطرب النفوس ويكون اشد تأثيراً فيها وكانت العرب تحدو به ابلها في سيرها فترى انه يؤثر فيها ويحملها على الإسراع

(ومنها) انه يوجب بحفظه وانشاده تهذيب الأخلاق والحث على محاسن الأفعال بما فيه من حكم وآداب وحماسة ونحو ذلك وقد يحمل على ضد ذلك بحسب ما يشتمل عليه ولذلك قال النبي ﷺ فيما روي عنه : رووا أولادكم لامية الشنفرى فانها تعلمهم مكارم الأخلاق ولا ترووهم مقاطعة آل غسان — وذلك لما في لامية الشنفرى من الحث على اباء الضيم ومفارقة من لاخير فيه والصبر والجلد وتحمل المشاق لنيل المآرب الجليلة والتباعد عن منة الخلق وغير ذلك ٠ وما في مقاطعة آل غسان من الحث على الانتقام وترك العفو والصفح فمن لامية الشنفرى المعروفة بلامية العرب قوله يحث على اباء الضيم ومفارقة من لا خير فيه وان كان حميماً قريباً وترك البلاد التي ينال المرء فيها الأذى الى غيرها ٠

اقيموا بني امي صدور مطيكم	فاني الى قوم سواكم لأميل
وفي الارض منأى للكريم عن الأذى	وفيها لمن خاف القلى متحول
لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ	سرى راغباً او راهباً وهو يعقل

يقول فيها

وان مدت الأيدي الى الزاد لم اكن	بأعجلهم اذ أجشع القوم اعجل
وما ذاك الا بسطة عن تفضل	عليهم وكان الأفضل المتفضل

ثم يقول في مفارقة من لا خير فيه :

واني كفاني فقد من ليس جازيا	بنعمى ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع (١)	وابيض اصليت وصفراء عيطل (٢)

(١) شجاع جريء ٠ (٢) عيطل طويلة وهي القوس ٠

ثم يقول في تجنب ما لا يحمد من الصفات :

ولست بمهياف[١] يعشي سوامه[٢] مجدعة[٣] سقبانها[٤] وهي بهل[٥]

ولا جبأ[٦] اكهى[٧] مرب[٨] لعرسه يطالعها في أمره كيف يفعل

ولا خرق[٩] هيق[١٠] كأن فؤاده يظل به المكاء[١١] يعلو ويسفل

ولا خالف[١٢] دارية[١٣] متغزل يروح ويغدو داهناً يتكحل

ولست بعل[١٤] شره دون خيره الف[١٥] اذا ماجئته اهتاج اعزل[١٦]

ولست بمحيار الظلام اذا انتحت هدى الهوجل[١٧] العسيف[١٨] يهماء هوجل[١٩]

ثم وصف جلده وصبره على المتاعب واقدامه وقوته فقال :

اذا الأمعز الصوان لاقى مناسمي تطاير منه قادح ومفلل

أديم مطال الجوع حتى أميته واضرب عنه الذكر صفحاً فاذهل

ثم وصف اباءه عن تحمل منة الناس ولو كان في أشد الحاجة وقادراً على الكسب الدنيء فقال :

واستف ترب الأرض كيلا يرى له علي من الطول امرؤ متطول

ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب يعاش به الا لدي ومأكل

ولكن نفساً مرة لا تقيم بي على الضيم الا ريثما اتحول

واطوي على الخمص[٢٠] الحوايا[٢١] كما انطوت خيوطة ماري[٢٢] تغار[٢٣] وتفتل

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا ازل[٢٤] تهاداه التنائف اطحل[٢٥]

---

(١) المهياف السريع العطش . (٢) يرعاها ليلاً خوفاً من العطش . (٣) سيئة الغذاء .
(٤) أولادها . (٥) عليها سرارها وهو ما يشد به ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها .
(٦) جبان . (٧) جبان ضعيف . (٨) ملازم . (٩) دهش من الخوف .
(١٠) دقيق طويل . (١١) طائر . (١٢) لا خير فيه . (١٣) لايفارق البيوت .
(١٤) الغل المسن الصغير الجثة . (١٥) عاجز . (١٦) لا سلاح معه .
(١٧) الطويل الذي فيه تسرع وحمق . (١٨) الآخذ على غير الطريق .
(١٩) فلاة لا اعلام بها . (٢٠) ضمور البطن . (٢١) الأمعاء .
(٢٢) اسم رجل أو كساء . (٢٣) يحكم فتلها . (٢٤) خفيف الوركين والمراد الذئب يتولد من الضبع والذئب . (٢٥) لونه بين الغبرة والبياض .

ثم وصف سيره ليلاً وتبكيره فقال :

وتشرب اسآري[١] القطا الكدر[٢] بعدما ... سرت قرباً[٣] احناؤها[٤] تتصلصل[٥]

ثم ذكر انه لايتغير في حالتي عدمه وغناه فقال :

واعدم احياناً واغنى وانما ... ينال الغنى ذو البعدة[٦] المتبذل[٧]

فلا جزع من خلة[٨] متكشف[٩] ... ولا مرح[١٠] تحت الغنى اتخيل[١١]

ثم وصف صبره على المتاعب والشدائد وشظف العيش فقال :

ويوم من الشعرى[١٢] يذوب لوابه[١٣] ... افاعيه في رمضائه تتململ

نصبت له وجهي ولا كن[١٤] دونه ... ولا ستر الا الأتحمي[١٥] المرعبل[١٦]

وضاف[١٧] اذا هبت له الريح طيرت ... لبائد عن اعطافه ماترجل[١٨]

بعيد بمس الدهن والفلي عهده ... له عبس[١٩] عاف[٢٠] من الغسل محول[٢١]

* * *

ومن مقاطعة آل غسان قوله :

ما كل يوم ينال المرء ماطلبا ... ولا يسوغه المقدار ما رغبا

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها ... ان كنت شهماً فاتبع راسها الذنبا

هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا ... واضرموا النار فاجعلهم لها حطبا

* * *

(ومنها) انه يخلد لصاحبه ذكراً على مر الدهور والأعوام ولولا الشعر لكان جماعة كثيرون من المشهورين في عداد المنسيين لايذكرهم ذاكر ولا يعرفهم أحد وانما عرفوا واشتهروا وخلد ذكرهم على الألسن وفي بطون الدفاتر بما اثر عنهم

(١) جمع سؤر وهو بقية الماء . (٢) الكدرة الغبرة . (٣) القرب سير الليل لورود الغد . (٤) جوانبها . (٥) تصوت . (٦) اسم للبعد . (٧) الذي لا يصون نفسه . (٨) حاجة وفقر . (٩) مظهر حاجته وفقره للناس . (١٠) ذو مرح وبطر . (١١) اتكبر . (١٢) نجم يطلع في شدة الحر . (١٣) مايرى متدلياً عند الهاجرة كالخيوط . (١٤) لاستر . (١٥) نوع من البرود . (١٦) المتخرق . (١٧) شعر كثير طويل . (١٨) ما تسرح . (١٩) وسخ . (٢٠) متروك . (٢١) أتى عليه حول .

من الشعر والا فمن الذي كان يعرف رعاة العرب ولصوصهم وصعاليكهم وكثيراً من أهل الجاهلية لولا الشعر وجماعة من أهل الفضل لم يعرفوا الا بشعرهم .

(ومنها) ان الشعر تقيد به الحوادث التاريخية وتحفظ وجملة منها قد عرفت من الأشعار أكثر مما عرفت من كتب التاريخ .

(ومنها) ان الشعر تعرف منه نفسية الشاعر ويكون ابلغ مترجم عنها وتفيد المؤرخ والمترجم مالا تفيده كتب التاريخ .

(ومنها) انه يصير في عنق من قيل فيه كطوق الحمامة مدحاً وذماً فتتناقله الألسن وتحفظه الناس حتى الصبيان والعواتق في خدورها ولذلك كان الملوك والأمراء يتقون السنة الشعراء ويحتملون منهم ما لا يحتملون من احد ويجزلون لهم العطايا والمواهب وفي ذلك يقول ابن الرومي :

لا تقبلن المدح ثم تعقه   وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم اذا لم ينصفوا   حكموا لأنفسهم على الحكام
وظلامة العادي عليهم تنقضي   وعقـابهم يبقى على الأيام

وكان الشعراء في تلك الأعصار اشبه بأهل الجرائد اليوم وكان بنو أمية يكرمون الفرزدق وكثير عزة ويجيزونها ويحتملون منهما وكلاهما علوي الرأي طمعاً في المدح وخشية من القدح وكذلك بنو العباس كانوا يكرمون السيد الحميري ويجيزونه وهو علوي الرأي .

(ومنها) تهييجه النفوس وتأثيره فيها تأثيراً يتفاوت بحسب مزيته في الفصاحة والبلاغة ورقة اللفظ وحسن سبكه وانسجامه واشتماله على النكات المستملحة والخصائص البديعة والألفاظ المستعذبة والأمور المهيجة للنفس بحسب المقامات كالرقة في الغزل والتهويل في الحماسة ووصف الحرب وحسن الأسلوب في الاعتذار والشفاعة والحث على الحلم والصفح والتفجع في الرثاء وغير ذلك .

يتبع :   محسن الأمين الحسيني

رسالة الطرق

-٧-

حرف العين المهملة

يقال طريق مُعبّد اي مسلوك مذلل وقيل هو الذي تكثر فيه المختلفة قال طرفة :

تباري عتاقاً ناجيات واتبعت   وظيفاً وظيفاً فوق مَور مُعبّد [١]

قيل المعبد الطريق الموطوء وقول الشاعر :

وبلد نائي الصوى معبد .. قطعته بذات لوث جلعد [٢]

قيل المعبد الذي ليس فيه أثر ولا علم ولا ماء

والعبابيد الطرق المختلفة . والصبابيد الطرق البعيدة الأطراف المختلفة .

ويقال عبر الطريق والنهر والوادي عبراً وُعبوراً قطعه من عبره الى عبره والعبر بالكسر الناحية والجانب والشاطئ وعبر السبيل شقها وعابر سبيل مار الطريق من عابرين وعبار والمعبر بالكسر ما عبر به النهر من فلك او قنطرة أو غيره . والمعبر بالفتح الشط المهيأ للعبور والمعبرة بالكسر سفينة يعبر عليها النهر .

العتوب كعبور الطريق ويقال اعتتب الطريق اذا ترك سهله واخذ في وعره ويقال للرجل اذا مضى ساعة ثم رجع قد اعتتب في طريقه اعتتاباً كأنه عرض عتَب فتراجع واعتتب فلان اذا رجع عن أمر كان فيه الى غيره من قولهم لك العتبى اي الرجوع مما تكره الى ما تحب .

والعتب الدرج وعتب الدرج مراقيها اذا كانت من خشب وكل مرقاة منها عتبة .

العثق محركة من الطريق جادته .

---

(١) تباري تعارض عتاقا نوقا كريمة ناجيات سريعات والوظيف عظم الساق معبد مذلل .

(٢) البلد كل موضع مستحيز من الأرض عامر أوغير عامر خال أو مسكون والبلد الدار في لغة اليمن نائي بعيد والصوى الأعلام معبد ليس فيه أثر قطعته جزنه لوث قوة وقيل كثيرة اللحم والشحم جلعد قوية شديدة .

ويقال طريق عاجٌ زاجٌ : ممتلئٌ ·

العجوز : الطريق ومنه قول الشاعر المتأخر :

اذا ضلت اناس عن هداها فيهديها الى اهدى عجوز

والماجز كحارب الطريق لأنه يعي صاحبه لطول السرى فيه ·

المعاجيل مختصرات الطرق جمع مِعجال يقال خذ معاجيل الطريق فانها أقرب · وأخذت مُستعجِلة من الطريق وهذه مستعجلات الطريق بمعنى القربة والخصرة ·

عدل عن الطريق جار وعدل اليه عدولاً : رجع · وعدل الطريقُ نفسه مال وعدلتُ فلاناً عن طريقه · وأخذ الرجل في مَعدِل الحق ومَعدِل الباطل أي في طريقه ومذهبه · وانظر الى سوء معادله ومذموم مداخله اي الى سوء مذاهبه ومسالكه قال زهير :

واقصرت عما تعلمين وسُدّدت عليه سوى قصد الطريق معادله [1]

ويقال هو سديد المعادل ·

عَداء كل شيء وِعداه وِعدوه بكسر الأخيرين وُعدوته بالكسر ويضم طَوّاره وهو ما انقاد معه من عرضه وطوله · يقال لزمت عَدّاء الطريق أو النهر أو الجبل أي طواره والزم عداء الطريق وهو أن تأخذه لا تظلمه والزم عِدو أعداء الطريق والزم اعداء الطريق اي وضحه ·

وفي المخصص ومشى عَدّاء الطريق أي متنه ·

وعِذار الطريق جانبه تقول أخذوا عذاري الطريق وهما جانباه ·

عَرَجَ في الدرجة والسلم يعرُج عُرُوجاً ارتقى والمَعرَج بالفتح المصعد والطريق الذي تصعد فيه الملائكة جمعه معارج ·

والمِعراج والمِعرج بحذف الألف السلم والمصعد والدرج وجمع معراج معاريج وجمع مِعرَج معارج وانعرج الطريق مال · وانعرج القوم عن الطريق مالوا ·

(١) اقصرت كففت أي عما تهدين من الصبا والمعادل جمع معدل : ماعدل فيه عن القصد والمراد أن معادله التي كان يعدل منها عن قصد السبيل سددن عليه يقول انه كان يعدل عن طريق الصواب الى طريق الصبا والهوى ثم كف عن ذلك لما ذهب شبابه فرجع الى الحق وسدد عليه بعد الجور وسوى بمعنى غير معلقة بالمعادل أي سددت علي معادل الصبا وجوره عن قصد السبيل ·

ويقال عرَّد الرجل تعريداً اذا ترك القصد من الطريق وانحرف عنها وانهزم

والعَروض: الطريق في عُرض الجبل . وقيل هو ما اعترض في مضيق منه والجمع عُرُض . وفي حديث ابي هريرة . فأخذ في عَرُوض آخر اي في طريق آخر من الكلام . والعروض الناحية يقال اخذ فلان في عَروض ما تعجبني اي في طريق وناحية وأخذنا في عَروض منكرة أي طريقاً في هبوط وعارض معارضة اذا اخذ في عروض من الطريق أي ناحية منه وأخذ آخر في طريق آخر فالتقيا . وعارض الجنازة أتاها معترضاً من بعض الطريق ولم يتبعها من منزله .

وعَرَض الشيء يعرِض واعترض يعترض انتصب ومنع وصار عارضاً كالخشبة المنصوبة في النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين سلوكها ويقال طريق ذو معارض أي مَرَاع تغنيهم أن يتكلفوا العلف لمواشيهم .

العرْق بالفتح الطريق الذي يَعرُقه الناس اي تسلكه وتذهب فيه حتى يستوضح ويبين وبابه نصر . سمي بالمصدر والعرَق والعرْقة الطرق في الجبال .

العرْقوب طريق في الجبل يقال ما اكثر عراقيب هذا الجبل وهي الطرق الضيقة في متنه قال:

ومخوف من المناهل وحش ذي عراقيب آجن مدفان [1]

وقال ابن السكيت النقب والثنية والعرقوب الطريق في الجبل . والعرقوب طريق ضيق يكون في الوادي البعيد القعر لا يمشي فيه الا واحد .

والعراقيب خياشيم الجبال وأطرافها وهي أبعد الطرق لأنك تتبع اسهلها أين كان وتعرقب فلان اذا أخذ في طريق تخفى عليه قال :

اذا منطق زل صاحبي تعرقبت آخر ذا معتقب [2]

---

(١) مخوف تخافه الناس والمناهل جمع مَنهل وهو الموضع الذي فيه المشرب وقال بعضهم المنهل من المياه كل ما يطؤه الطريق وما كان على غير الطريق لا يدعى منهلاً ولكن يضاف الى موضعه أو الى من هو مختص به فيقال منهل بني فلان . وَحش : خال . آجن متغير الطعم مِدفان : مندفن من الدفن وهو الستر والمواراة . (٢) زل عنه تنحى عنه تعرقبت أخذت في منطق آخر أسهل منه ويروى تعقبت يقال تعقب الأمر اذا تدبره ونظر فيه ثانية وتعقب الخبر تتبعه والاعتقاب الحبس والمنع والتداول واعتقبه خلفه واعتقب بخير وتعقب أتى به مرة بعد أخرى .

أي اخذت في منطق آخر اسهل منه ·

العران الطرق لا واحد لها قال ذو الرمة ·

ألا ايها القلب الذي برحت به منازل مي والعران الشواسع

ويقال اعتزم الطريق اذا مضى عليه ولم ينثن قال حميد الأرقط :

معتزماً للطرق النواشط والنظر الباسط بعد الباسط[1]

عسف عن الطريق مال وعدل وسار بغير هداية ولا توخي صوب ·

والعسف والتعسف والاعتساف السير بغير هداية والأخذ على غير الطريق والعسف ركوب المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية ولا توخي صوب ولا طريق مسلوك وعسف الطريق يعسفه سلكه على غير قصد · واعتسف الطريق قطعه دون صوب توخاه فأصابه وعسف عن الطريق مال وعدل كاعتسف وتعسف · قال ابن الأثير : العسف في الأصل ان يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم ثم نقل الى الظلم والجور · ويقال بات يعسف الليل عسفاً اذا خبطه يطلب شيئاً ومنه العسيف وهو الأجير لأنه يعسف الطرقات متردداً في الأشغال ·

العَشْوز كجوهر والعشوّز كعذوّر الخشن من الطريق والجمع العشاوز وفي اللسان العشوَز ما صلب مسلكه من طريق أو ارض وجمعه عشاوز

والعشوْزَن كسفرجل ما صعب مسلكه من الأماكن قال رؤبة :

أخذك بالميسور والعشوْزن [2]

ويقال أعصف الرجل اذا جار عن الطريق

عَضد الطريق وعضادته ناحيته وجمع عضد أعضاد ·

واعضاد الطريق والحوض وغيره ما يشد حواليه من البناء الواحد عَضَد وعَضُد

ويقال تنح عن عطف الطريق وعطفه أي قارعته ·

الطريق المطرد البين اللاحب يذهب فيه حيثما يشاء وطريق عطرد طويل ممتد

(١) معتزماً ماضياً عليها · والنواشط جم ناشط وهو الذي ينشط أي يخرج من الطريق الأعظم يمنة ويسرة والباسط البعيد · والباسط السائر ورواه في اللسان معتزماً بالطرق (٢) الميسور ضد المعسور وما يسر ·

المعلوب الطريق الذي يُعلب بجنبته أي يؤثر فيه وكل ما وسمته فقد علبته علباً ·
والعلب الأثر وطريق معلوب لاحب وقيل أثر فيه السابلة قال بشر :

نقلناهم نقل الكلاب جِراءَها على كل معلوب يثور عكوبها

العكوب الغبار يقول كنا مقتدرين عليهم وهم لنا اذلاء كاقتدار الكلاب
على جرائها ويقال تنح عن عَلَب الطريق اي قارعته ·

العلق معظم الطريق ·

العلم ما يبنى في جواد الطريق من المنازل يستدل بها على الطريق والجمع أعلام
والمعلم ما جعل علامةً وطرا للطريق · والعلم المنار ·

ويقال ما وجدت الى كذا مُعلندداً أي سبيلاً ·

ويقال فج عميق أي بعيد قال ابن الاعرابي العمق اذا كان صفةً للطريق فهو
البعد وان كان صفة للبئر فهو طول جرابها وقال ابن السكيت يقال طريق عميق
ومَعيق اذا كان طويلاً والعميق أكثر من المعيق في الطريق ·

وطريق مُعمل كمكرم لحسب مسلوك قال الفرزدق :

وتركت أمك يا جرير كأنها للناس بارِكةً طريق مُعمل (١)

العمه بالتحريك التردد في الضلال والتحير في منازعة أو طريق عمه كمنع وفرح
عَمها وعُموها وعُموهة وعَمهاناً فهو عمه وعامه يتردد متحيراً لا يهتدي لطريقه ومذهبه
وجمعه عمهون وعُمه وأرض عَمهاء لا أعلام بها وعَمهت الأرض وهو مجاز ·

عمي عليه طريقه اذا لم يهتد له والعامي الذي لا يبصر طريقه قال :

لا تأتيني تبتغي لين جانبي برأسك نحوي عامياً متعاشياً (٢)

ويقال هو عَمٍ طريقاً وعَمٍ مسلكاً أي ليس طريقه بين الأثر ·

وعَند عن الطريق من باب نصر وضرب وكرم مال وانحرف الى عند أي
جانب وقيل تباعد وعدل · والعاند البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن

(١) يقال للشيء برك اذا ثبت وأقام وهو مأخوذ من برك البعير اذا ألقى بركه على الأرض أي صدره واستناخ · (٢) تعاشى الرجل أظهر العشا وأرى من نفسه أنه اعشى وليس . والعشا سوء البصر بالليل والنهار وقيل ان لا يبصر بالليل ·

القصد . وناقة عَنود كصبور تنكب الطريق من نشاطها وقوتها والجمع عُنُد وعُنَّد وقيل عُنَّد جمع عاند لأن فعولاً لا يجمع على فُعَّل .

وعاندة الطريق ما عدل عنه فعند قال :

فانك والبكا بعد ابن عمرو لكالساري بعاندة الطريق

يقول رزئت عظيماً فبكاؤك على هالك بعده ضلال أي لا ينبغي لك ان تبكي على احد بعده . وعانده الطريق عارضه قال أبو ذؤيب :

فافتنهنَّ من السواء وماؤه بَثر وعانده طريق مَهيع [1]

ويقال ما وجدت الى كذا عُندُدا وعُنددا أي سبيلاً .

واذا اراد طريقاً فضل قالوا أراد طريق العنصلين وهو في معنى قول الفرزدق :

أرادت طريق العنصلين فياسرت به العيس في نائي الصوى متشائم [2]

وطريق العنصل طريق من اليمامة الى البصرة .

ويقال طريق مُعتنف أي غير قاصد وقد اعتنف اعتنافاً جار ولم يقصد واصله من اعتنف الشيء اذا أخذه او أتاه غير جازف به ولا عالم والعنفة ما بين خطي الزرع

عَوَج الطريق وعِوَجه بفتح العين و كسرها مع فتح الواو فيهما زيغه والفعل عوج كفرج واعوج الطريق مال وانعطف .

(١) افتنهن من الفن وهو الطرد أي طرد الحمار أتنه من السواء وهو موضع وبَثر ماء معروف بذات عرق . وقيل قليل . ومهيع واسع . (٢) هكذا رواه ياقوت وغيره ورواه في اللسان فيامنت به العيس وطريق العنصلين بفتح الصاد وضمها موضع . وطريق العنصل هو طريق من اليمامة الى البصرة . وروى الأزهري أن الفرزدق قدم من اليمامة ودليله عاصم رجل من بلعنبر فضل به الطريق فقال :

وما نحن ان جارت صدور ركابنا بأول من غَوَّت دلالة عاصم

أراد طريق العنصُلين فياسرت به العيس في وادي الصوى المتشائم

وكيف يضل العنبري ببلدة بها قطعت عنه سيور التمائم

قال أبو حاتم سألت الأصمعي عن طريق العنصلين ففتح الصاد قال ولا يقال بضم الصاد قال وتقوله العامة اذا أخطأ انسان الطريق وذلك ان الفرزدق ذكر في شعره انساناً ضل في هذا الطريق فقال : أراد طريق العنصلين فياسرت ... فظنت العامة أن كل من ضل ينبغي أن يقال له هذا وطريق العنصلين هو طريق مستقيم والفرزدق وصفه على الصواب فظن الناس أنه وصفه على الخطأ . ويقال سلك طريق العنصلين أي الباطل .

العَوْد الطريق القديم العادي قال بشير بن النكث :

عَوْد على عَوْد لأقوام أوَل يموت بالترك ويحيا بالعمل

يريد بالعود الأول الجمل المسن وبالثاني الطريق أي على طريق قديم وهكذا الطريق يموت اذا ترك ويحيا اذا سلك وأما قول الشاعر :

عَوْد على عَوْد على عَوْد خَلَق

فالعود الأول فيه رجل مسن والثاني جمل مسن والثالث طريق قديم . ويقال للطريق الذي أعاد فيه السفر وأبدأ : مُعيد ومنه قول ابن مقبل يصف الابل السائرة :

يصبحن بالخبت يجتبن النعاف على أصلاب هاد مُعيد لابس القتم [1]

ويقال طريق أعور أي لا علم فيه كأن ذلك العلم عينه وهو مثل وطلع في طريق معورَة أي ذات عَوْرة يخاف فيها الضلال والانقطاع وفي التاج في طريق معيرة . والأعور والعوار كرمان الذي لا بصر له بالطريق ولا هداية ولا هو يدل ولا يندل

حرف الغين

الغُرور شرك الطريق كل طُرقة منها غَرّ ومن هذا قيل اطو الكتاب والثوب على غَرّه وخنثه اي على كسره .

تغطرس اذا تعسف الطريق .

الغُفْل بالضم ما لا علامة له من الطرق والجمع اغفال .

الغَوْل البعد يقال هون الله عليك غَوْل هذا الطريق وفلاة تُغوّل تغويلاً أي ليست بينة الطرق فهي تضلل أهلها وتَغوّلها اشتباهها وتلونهـا والغول بعد الأرض واغوالها اطرافها سمي غَولاً لأنها تغول السابلة اي تقذف بهم وتقطعهم وتبعدهم . وطريق ذو غَوْل . بعيد .

(١) الخبت ما اطمأن من الأرض والسع يجتبن يقطعن والنعاف جمع نعف والنعف من الأرض المكان المرتفع في اعتراض وقيل ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل وأراد بالهادي الطريق الذي يهتدى اليه وبالمعيد الذي لحب والقتم الغبار .

حرف الفاء

الفأو : المضيق في الوادي يفضي الى سعة لا مخرج لأعلاه وما بين الجبلين وبطن من الأرض تطيف به الرمال وانما سمي فأواً لانفراج الجبال عنه لأن الانفياء الانفتاح والانفراج ·

الفَجّ الطريق الواسع بين جبلين او في جبل وهو أوسع من الشعب وجمعه فجاج وأفجة قال جندل بن المثنى الحارثي :

يجئن من أفجة مناهج

وكل طريق بعد فهو فج وفي المخصص الفج الطريق الواسع في قبل جبل وهو اوسع من الشعب وفي المصباح الفج الطريق الواضح الواسع وقال ابن السكيت الفج كل سعة بين نشازين ويقال له النجد وفي حديث الحج وكل فجاج مكة مَنحر جمع فج وهو الطريق الواسع · وافتج فلان اذا سلك الفجاج ·

الفجار الطرق مثل الفجاج ويقال طريق فَجر اي واضح ومُنفجر الرمل طريق يكون فيه وهو مجاز والفاجر المائل والساقط عن الطريق ·

وطريق مُنفحق أي واسع قال :

والعيس فوق لاحب مُعبد مُغبر الحصى منفحق عجرّد(١)

ويقال أفرج الناس عن طريقه اي انكشفوا وانفرجت الطريق اتسعت وفَرْج الطريق بطنه ·

الفِرْز والفُرْزة بتقديم الراء على الزاي الطريق في الأكمة والفارزة طريق تأخذ في رملة دكادك لينة كأنها صَدْع من الأرض منقاد طويل خلقة ·

والفَرْز الفرج بين جبلين او موضع مطمئن بين ربوتين قال رؤبة يصف ناقته :

كم جاوزت من حَدَب وفَرْز

ويقال افترش القوم الطريق اذا سلكوه وهو مجاز ·

الفِراض الطرق قال عمرو بن معد يكرب [ض] :

---

(١) عجرّد يقال رجل عَجرّد أي غليظ شديد أو جريء هكذا رواه في اللسان في فحق ورواه في فهق مُنفهق عَجرّد والمنفهق الواسع والعجرد الطويل

سدَدْتُ فراضها لهم ببتي وبعضهم بقنتـه يغذى [1]

فَرْعَة الطريق وفَرَعَه وفَرْعاؤه وفارعته اعلاه ومنقطعه وقيل ما ظهر منه وارتفع وقيل فارعته حواشيه وفي تهذيب الألفاظ فارعة الطريق ظهره وفارعته اعلاه ومنقطعه وتقول طريق فَريع وفريغ معاً ٠

الفريغ بالغين المعجمة كأمير مستوى من الأرض كأنه طريق ٠ وطريق فريغ واسع وقيل هو الذي قد أثر فيه لكثرة ما وطئ قال ابو كبير يصف رجلاً ضربه ضربة ٠

فأجزته بأفل تحسب أثره نهجاً أبان بذي فريغ مَخرَف [2]

شبه بياض الفرند بوضوح هذا الطريق ٠

مَفرِق الطريق ومِفرَقه وسطه ومتشعبه الذي ينشعب منه طريق آخر .

وفرق له الطريق فروقاً وانفرق انفراقاً اتجه له طريقان فاستبان ما يجب سلوكه منهما او اتجه له فعرف وجهه ومنه حديث ابن عباس فرق لي رأي أي بدا وظهر وفي حديث ابن مسعود ثم تفرقت بكم الطرق أي ذهب كل منكم الى مذهب ومال الى قول وتركتم السنة ٠ وطريق افرق بَين ٠

القزْرة بالضم والقازر كلاهما بتقديم الزاي على الراء: الطريق البين الواسع قال الراجز:

تَدُق مَعزاء الطريق القازر دقْ الدياس عَرَم الأنادر [3]

---

(١) أصل السد اغلاق الخلل وردم الثلم والمراد أنه قعد في الطريق فنعهم من اجتيازهم والبت الطيلسان من خز ونحوه وقيل كساء غليظ مهلهل مربع أخضر والقنة الجبل الصغير او الجبل السهل المستوي المنبسط على الأرض وقنة كل شيء أعلاه ولا تكون القنة الا سوداء يغذى يعطي الغذاء وهو ما يغتذى به من الطعام والشراب يريد أنه نزل بين الطرق ليقري الضيوف ٠ (٢) أجزته بأفل معنا رواه في اللسان والتاج ولعله افل يقال سيف افل بين الفلل ذو فلول جمع فل كفرق وحروف وهي كسور في حدوده اولعله أراد بأفل سيفاً ذا فلة وفلة السيف قبيعته وهي التي يدخل فيها قائم السيف وأثر السيف بفتح الهمزة وكسرها مع سكون الثاء فرنده ورونقه نهجاً طريقاً مستقيماً وواضحاً أبان بمعنى بان واتضح مخرف واضح ٠

(٣) تدق تكسر وترض والمعزاء المحصى الصغار والدياس من داسه اذا وطئه وداس الطعام دقه ليخرج الحب منه والدياس الدراس والعرَم جمع عرمة بفتحتين فيهما الكدس من الحنطة في البيدر والأنادر جمع أندر وهو البيدر لغة شامية ٠

وقال ابن شميل الفازر الطريق تعلو النجاف والقور فتفزرها كأنها تخد في رؤوسها خدوداً . تقول أخذنا الفازر وأخذنا طريق فازر وهو طريق أثر في رؤوس الجبال وفقرها والفازرة طريق تأخذ في رملة دكادك لينة كأنها صدع منقاد طويل خلقة وفي المخصص وطريق فازر في حزن لا صعود فيه ولا هبوط وقال قدامة والفازرة الواسعة .

ويقال فوّز الطريق أي بدا وظهر زاد الصاغاني أو انقطع .

فوّهة الطريق كقبرة وفوَهته بالضم والتخفيف: فمه يقال الزم فوهته وفمه وكذلك فوهة السكة والوادي والجمع فوّهات وفوائه قال:

صِيد على فوّهة الطريق

ويقال ما وجدت الى ذلك الأمر فاكرِش اي لم أجد اليه سبيلاً . ولو وجدت اليه فاكرِش وباب كرش وادنى كرش لا نبته يعني قدر ذلك من السبل ومثله قولهم لو وجدت اليه فاسبيل .

وفي الصحاح وقول الرجل اذا كلفته أمراً إن وجدت الى ذلك فاكرش . اصله أن رجلاً فصل شاة فأدخلها في كرشها ليطبخها فقيل له: ادخل الرأس فقال ان وجدت الى ذلك فاكرش يعني ان وجدت اليه سبيلاً .

وفي حديث الحجاج لو وجدت الى دمك فاكرش لشربت البطحاء منك أي لو وجدت الى دمك سبيلاً .

يتبع : محمد سليم الجندي

تحفة التُرك

فيما يجب ان يعمل في الملك

من مقتنياتي الخاصة مخطوطة «تحفة الترك فيما يجب ان يعمل في الملك» جاء في الصفحة الأولى منها انها تأليف قاضي القضاة نجم الدين ابي اسحق الطرسوسي رحمه الله تعالى وتحت ذلك ما يلي :

«هذه النسخة وجد على النسخة المنقول منها الحمد لله ملكه محمد بن الشلبي سامحه الله وبالخيرات حُبي ثم الحمد لله ملكه احمد بن محمد الحنفي الحموي الحسني عفي عنه ثم الحمد لله مِنْ مَنْ مَنْ مَنْ مَنْ مِنْ عميم فضله على أقل عبيد العلي ، الحقير خليل بن ولي بن جعفر الحنفي عفي عنه وعنهما .

والسيد احمد الحموي هذا هو مُحشي الأشباه وخليل بن ولي هذا هو تلميذ السيد الحموي المذكور وطيها خطوط وحواشي بخط المذكورين . رحمهما الله تعالى ورحمنا معهم أجمعين والمسلمين . اه »

وجاء في الصفحة الأخيرة منها :

«أتمّ تعليقه الراجي عفو ربه عند حلوله في رمسه عبد الله بن محمد بن مكي في يوم السبت المبارك خامس عشر صفر المبارك سنة ثمانين وسبعمائة بالبستان المعروف بابن صلان (كذا) الحراني من أراضي قرية كفر سوسة من غوطه دمشق المحروسة . الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على على سيد المرسلين محمد خاتم النبيين وعلى آله وعترته وصحابته الطيبين الطاهرين وآل كل وسائر المرسلين وحسبنا الله ونعم الوكيل ومنه نقل . اه »

وهناك عباره وردت بآخر الكتاب هي :

« أنهاه مطالعة الشريف احمد بن محمد الحنفي الحموي عفي عنه آمين » .

وهذه مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله مالك الملك رب الملوك وواجب الوجود بلا ارتياب ولا شكوك الدائم في سلطانه المتفضل بانعامه الشامل واحسانه الذي جعل الدنيا للعالم دولا والجنة للمتقين من عباده نزلا . احمده حمد من وفقه لاصلاح عمله حتى بلغه نهاية سؤله وأمله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة اتخذتها للمعاد حصناً ولأهوال يوم الفزع أمناً وأشهد ان محمداً عبده ورسوله سيد البشر والمشفع في الأمم في المحشر وصاحب اللواء والحوض والكوثر صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين ما منهم الا قام في نصرة الدين وشمر وجاهد في الله الجهاد الأكبر صلاة لا تزال نفحات ارجها بعرف المسك الذكي تتعطر وسلم تسليماً .

وبعد فان الله تعالى جعل حفظ نظام الأنام بالسلطان وادام له الايام بالعدل في الشريعة والاحسان ورأيت ان من الواجب في هذا الزمان بذل النصيحة له بقدر الامكان بتأليف كتاب يشتمل على فصول يجمع فيها انواع مصالح الملك مما يعتمده الملوك وبيان طريق يدوم لهم بها الملك بحسن السلوك ولم اقصد بذلك سوى القيام بهذا الواجب وحفظ نظام الملك لمن هو في اتباع الشرع من الملوك راغب رجاء ان يلحق ملوكنا اذا اعتمدوه بالخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين او بما هو أعلى وأغلى من الأمرين من اتباع سيرة عمر بن عبد العزيز .

ومن المعلوم ان الزمان كله في ادبار وليس كل احد يسمح ببذل النصح في هذه الديار وقد يخشى ان تنسى هذه الطريقة فيعدم من الناس من اعطى خطاب التوفيق وقد جعلته مشتملاً على اثني عشر فصلاً ليس فيها تطويل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصول الكتاب

الفصل الأول : في بيان صحة سلطنة الترك ولا يشترط ان يكون السلطان مجتهداً ولا قرشياً وذكر مذهب الشافعي في هذا الفصل في ذلك كله ويندرج في هذا الفصل بيان مذهب ابي حنيفة من انه أوفق للترك من مذهب الشافعي .

الفصل الثاني : في جواز التقليد منهم عندنا خلافاً للشافعي .

الفصل الثالث : في الجواب عن القصص وانه انواع ويندرج فيه أحوال من تفوض اليه ولاية من الولايات من نيابة السلطنة الى الوزارة الى القضاء الى ولاية الشرطة الى غير ذلك وكيفية الولاية على كل ولاية بحسبها :

الفصل الرابع : في كشف احوال الولاة والدواوين وما يفعل بمن ظهر عليه خيانة منهم .

الفصل الخامس : في الكشف عن أحوال القضاة ونوابهم وبيان ما يستحقه الخائن منهم .

الفصل السادس : في النظر في أحوال الرعية والأوقاف وجهات البر .

الفصل السابع : في النظر في امر الجسور والقلاع والمساجد والثغور وجميع ما يتعلق بمصالح المسلمين وكسوة الكعبة واصلاح طريق الحاج .

الفصل الثامن : في صرف أموال بيت المال على اختلاف انواعها وبيان مصارفها .

الفصل التاسع : في الأموال التي تؤخذ مصادرة وبيان وجه أخذها ومن يستحق ان يؤخذ منه وفي بيان موضع صرفها .

الفصل العاشر : في هدايا أهل الحرب للسلطان والأمراء وهدايا السلطان لأهل الحرب .

الفصل الحادي عشر : في ذكر أحكام البغاة والخوارج على السلطان .

الفصل الثاني عشر : في الجهاد وقسمة الغنائم .

واننا ننقل الى القارئ الكريم الفصلين الثامن والتاسع من الكتاب لأنهما من الفصول المقتضبة ولأن في الأول منها ذكراً لجد المؤلف لأمه وهو قاضي القضاة شمس الدين بن العز الحنفي والذي قال عنه ملا كاتب چلبي كما سيأتي في تعريفه التحفة : « وقيل هي لابن العز » فالظاهر ان استشهاد المؤلف بمنظومة جده المذكور أوقع الشك في نفس الملا كاتب چلبي من ناحية نسبة التحفة الى الجد بعد ان ذكر انها للسبط .

الفصل الثامن

في صرف اموال بيت المال : اعلم ان بيت المال اربعة انواع عندنا لا يجوز ان يخلط مال بمال وقد نظمها بجدي لأمي قاضي القضاة شمس الدين بن العز الحنفي في أبيات وهي هذه :

وبيت المال اربعة فبيت ... لخمس والزكاة مع العشور
ويعطي ابن السبيل كذا فقيراً ... ومسكيناً على مر الدهور
وبيت للخراج وفيه أيضاً ... وضمنا جزية الرجل الكفور
وما نجنيه من تجار كفر ... ومصرفه الغزاة مع الثغور
وحكام ومحتسبون أيضاً ... ومفتيون مع كري النهور
وبنيان المساجد مع حصون ... ونفع الناس أجمع للظهور
وبيت توضع الزكوات فيه ... ومصرفه النوائب للأمور
وأكفان وفي نفقات مرضى ... وتجهيز الأرامل للخدور
وبيت توضع اللقطات فيه ... وتصرف بالتصدق للفقير
ويشترط الضمان وما تراه ... مصالح للأنام بغير زور
فان خلط الامام الكل أخطا ... واوعد في القيامة بالسعير
وجاز اذا رأى نقصاً ببعض ... له استقراض بعض للثغور
فخذ ما قد أردت الحصر فيه ... فوضعه بجامعنا الكبير

وهذا النظم فيه الكفاية عن الاطالة وقد أضحى احسن من الدر الجمان كما فاق جميع المذاهب مذهب النعمان .

الفصل التاسع

في الأموال التي تؤخذ مصادرة وبيان وجه أخذها ومن يستحق ان يؤخذ منه ومن يستحق المصادرة وبيان موضع صرفها .

أما وجه أخذها فهو ان يكون قد أخذ المال من الناس بجاه الولاية كولاية النواب والولاة والقضاة وأرباب المناصب اذ لولا المناصب لما حصلت ويدخل في هذا هدية الناس للولاة والقضاة والنواب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « هلا جلس احدكم في بيت أبيه وامه» فيجوز للسلطان ان يأخذ ذلك المال

ويضعه في بيت المال كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأبي هريرة رضي الله عنه لما استعمله على البحرين والقصة معروفة والأشبه ان يكون هذا المال موضعه بيت اللقطة . اه .

وليست جميع الفصول بهذا الاقتضاب ولكنها على كل حال وافية بالمرام جامعة للأحكام .

وعدد صفحات الكتاب ٤٨ صفحة من القطع المتوسط وطول الكتاب ٢٢ وعرضه ١٣ سانتيمتراً .

وفي كل صفحة ١٧ سطراً وكل سطر مؤلف من ١٤ كلمة تقريباً بحرف دقيق من الخط الجيد وفي ورق صقيل .

وفي بعض صفحاته تعاليق وهوامش وحواش وهي التي أشار اليها الناسخ في الصفحة الأولى من المخطوطة .

قال الملا كاتب چلبي :[1]

« تحفة الترك فيما يجب ان يعمل في الملك » للقاضي نجم الدين ابراهيم بن علي ابن احمد الطرسوسي الحنفي المتوفى سنة ٧٥٨ وهو مختصر على اثني عشر فصلاً وفرغ في ذي القعدة سنة ٧٥٣ وقيل هي لابن العز . »

وهو وصف مختصر لهذه التحفة السياسية والادارية والنصيحة الخالصة لسلطان ذلك الزمان الملك الصالح صلاح الدين صالح بن محمد قلاوون رحمهم الله تعالى .

(حيفا) عبد الله مخلص

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون طبع الاستانة جزء ١ ص ٣٦١ .

عثور الجدود على النقود

تزدخر دور الآثار في بقاع العالم المختلفة، بمجاميع من النقود القديمة، ويتنافس الهوون [1] للطرائف والتحف في اقتناء ما يقع اليهم من نوادر قطعها.

وللنقود الاسلامية بين هاتيك المجاميع الشأن الرفيع: فقلّ ان تخلو دار تحف من طائفةٍ منها، وهي لعمر الحق شيء كثير وفير! ذلك انها لم تُضرَب في عصر واحد، ولا في قطر دون آخر. بل كان الخلفاء والأمراء والسلاطين وغيرهم من صدور الناس ورؤسائهم، منذ أوائل ايام بني أمية، حتى الأزمنة المتأخرة القريبة عهد بنا، يُعنون أبلغ العناية في ضرب نقود الذهب والفضة والنحاس بأسمائهم، فكان لهم الدنانير والدراهم والدوانيق والفلوس وغير ذلك من أصناف النقود التي كانوا يتعاملون بها. ولا مشاحة في انه تتكوّن بدرس ما كُتب على وجوه هاتيك النقود، من أعلام الناس، وأسماء المدن، وسني الضرب، وغير ذلك من المدوّنات الجليلة الفائدة، صفحةٌ كاملة، او تكاد تكون كاملة، يتمثل لنا فيها «تاريخ الاسلام» في ما ضيِهِ البعيد والقريب.

ولو أن ما ضُرب من النقود حُوفِظ طيه مدى الأجيال والسنين الخالية، وانتهى الينا بكماله، لصار لنا من ذلك التراث الجسيم كنوز تملأ خزائن بأسرها. ولكن هيهات أن يكون ذلك! فانّ العوامل المختلفة تضافرت على إضاعة أغلب ذلك التراث، وفي مقدّمتها يد الانسان العاتية، التي لا تفتأ تهدم اليوم ما بنته أمس، وتُتلف ما أصلحت، وتبيد ما صنعت، عمدت إلى كثيرٍ من تلك النقود، فكسرت هذه، وقرضت من هاتي، وصهرت تلك، ومحت ما على الأخرى. فأضاعت الشيء الكثير من تلك المخلّفات المثمّنة، وعندنا من الشواهد والأمثلة على مثل هذا التصرّف الرديء ما يكفي في إثبات ما نقول:

---

(١) الهوون جمع الهوي أي المعنيّ. وهو يقابل Amateur في الانكليزية والفرنسية.

ولقد عمدنا في هذا المقال، إلى ايراد شيء مما وقفنا عليه من الأخبار القديمة المتعلقة بعثور الجدود على قِطع النقود في الأزمنة السالفة، والتصرُّف بها بعد ذلك في مختلف الوجوه.

من ذلك، ما رواه أبو عبيد القاسم بن سلاّم، المتوفى سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٨ م) في كلامه على «الخُمس في المال المدفون» وما يُتبع في ذلك الشأن من الأحكام، قال: «حدّثنا هُشيمٌ قال: أخبرنا مجالدٌ عن الشعبيّ: أنّ رجلاً وَجدَ الف دينار مدفونةً خارجاً من المدينة، فأتى بها عمر بن الخطاب، فأخذ منها الخُمس مائتي دينار، ودفع الى الرجل بقيتها. وجعل عمر يقسم المائتين بين مَن حضره من المسلمين الى ان فضل فضلة. فقال عمر: أين صاحب الدنانير؟ فقام اليه، فقال له عمر: خُذْ هذه الدنانير فهي لك [1]».

ونظير هذا الخبر، ما ذكره ابن سلاّم أيضاً بقوله: «حدّثنا سفيان بن عيينة، عن اسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبيّ: أن علياً أُتِيَ برجلٍ وجد في خَربة الفاً وخمسمائة درهم بالسواد. فقال عليٌّ: لأقضينَّ فيها قضاءً بيناً، إن كنت وجدتها في قريه خربة تحمل خراجها قرية عامرة، فهي لهم. وان كانت لا تحمل، فلك أربعة أخماس، ولنا خُمس. وسأطيبه لك جميعاً [2]».

ولم يتحقق عندنا ما كان نوع هاتيك الألف الدينار الوارد ذكرها في الخبر الأول، ولا هذه الألف والخمسمائة درهم المذكورة في الثاني، أكانت نقوداً رومية أم فارسية أم غير ذلك من صنوف المسكوكات المضروبة قبل الاسلام. لأن النقود العربية، في الواقع، لم تكن قد ضُربت في أيام عمر ولا في أيام علي، بل كان أوّل العهد بضربها في أيام الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي، وقد حَكم من سنة ٦٥ الى ٨٦ للهجرة (٦٨٤ — ٧٠٥ م) على هو معروف في كتب التاريخ.

وجاء في الكامل للمبرّد قوله: حدثني التوزي عن ابي عبيدة والأصمعي عن

(١) كتاب الأموال [طبع القاهرة سنة ١٣٥٣هـ بتحقيق محمد حامد الفقي. ص ٣٦٢ الرقم ٨٧٦].

(٢) كتاب الأموال [ص ٣٦٢ — ٣٦٣ الرقم ٨٧٥].

أبي عمرو ، قال : قال لي رجلٌ من أهل القريتين [باليمامة] أصبتُ ههنا دراهم ، وزن الدرهم ستة دراهم واربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس ، فخفتُ السلطان فأخفيتها[1] »

ومن عجيب الاتفاقات ، ما حصل لأحمد بن طولون : أمير الديار المصرية والشامية ، المتوفى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) . فقد نقل أبو محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي ، مؤرخ سيرته ، انه ركب ذات يوم الى الصيد في مصر ، « فلما أمعن في الصحراء ، ساخت في الأرض يد فرس بعض غلمانه ، وهو رمل ، فسقط الغلام لنزول يد الفرس كلها في الرمل ، فوقف عليه احمد بن طولون : وأُخرجت يد الفرس ، فنظر فاذا بفتق ، ففتح وأصاب فيه من المال ما كان مقداره الف الف دينار ، وهو المطلب[2] الذي شاع خبره وُكتب به الى العراق وكتب احمد بن طولون بخبره الى المعتمد ، يستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر أو غيرها مما يأمره به ، فكتب اليه المعتمد يأمره بأن يصرفه في وجوه البر . فبنى منه البيمارستان . ثم أصاب بعده في الجبل مالاً عظيماً فبنى منه الجامع ، وأوقف جميع ما بقي من المال في الصدقات ، فكانت صدقاته ومعروفهُ لا تحصى كثرة[3] » .

وقد تطرقَ غير واحدٍ من المؤرخين[4] الى ذكر الخبر في اكتشاف هذا الكنز الدفين من الدنانير ، وذلك بما لا يخرج عما نقله البلوي في هذا الصدد ، فاكتفينا بالاشارة الى ذلك .

---

(١) الكامل للمبرد [٣ : ٢٥٦ للطبعة الأزهرية] . (٢) المطلب ، ويُجمع على المطالب : لفظة كان يطلقها الأقدمون على الكنوز . قال المسعودي [مروج الذهب ٢ : ٤١٢ طبع باريس] . « لمصر أخبار عجيبة من الدفائن والبنيان ، ومما يوجد في الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعوها الأرض وغيرهم من الأمم ممن سكن تلك الأرض ، وتُدعى المطالب الى هذه الغاية » . والمسعودي قال ذلك القول في سنة ٣٣٢ للهجرة (٩٤٣ م) . وذكر أيضاً (المروج ٢ : ٤١٢) « أهل الدفائن والمطالب » . وقد ظلّ استعمال هذه اللفظة شائعاً حتى زمن المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ١٤٤١ م على ما أورده في خططه . والقوم « المطالبية » هم الباحثون عن هاتيك الكنوز .

وذكر ابن النديم في الفهرست [ص ٣١٨ طبعة فلوجل = ص ٤٤١ من طبعة مصر] تأليفاً لبعض المصريين ، عنوانه « كتاب المعادن والمطالب والكنوز » وهو ، على ما يبدو من عنوانه ، من أجل الكتب وأتمها ، ولكنه ضائع فيما نعلم . (٣) سيرة أحمد بن طولون للبلوي [بتحقيق محمد كرد علي بك . دمشق ١٩٣٩ ، ص ٧٦] . (٤) راجع مثلاً : المنتظم لابن الجوزي ٥ : ٧٣ ، وخطط المقريزي ٤ : ٣٩ مطبعة النيل ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢ : ١٥٧ .

ويبدو من سيرة أحمد بن طولون أن الحظّ كان أليفه في أيام عزّه واقباله . فقد خدمه حسن الطالع غير مرّة في اكتشاف كنوزٍ من النقود القديمة ، كانت مطمورة في بعض البقاع العتيقة في مصر — وما أكثر تلك البقاع هناك ! — مما عاد عليه وعلى رجال حاشيته بأجزل النفع وأوفر الفائدة . حكى البلوي [١] مؤرخ سيرته في هذا الصدد خبراً طريفاً ذا فوائد تاريخية ، إليك نصه :

« وحدَّث نسيم الخادم قال : ركب مولاي [أحمد بن طولون] الى الأهرام ، فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ، وفي أيديهم مساح ومَعاوِل . فسألهم عما يعملون ، فقالوا : نحن قوم نطلب المطالب . فقال لهم : لا تخرجوا بعد هذا الوقت إلا بمنشور [٢] ، ورجل من قِبلي يكون معكم [٣] . فقالوا : سمعاً وطاعة للأمير ايده الله . وسألهم عما رُفع اليهم من الصفات ، فذكروا لهَ انّ في سمت الأهرام مطلباً قد عجزوا عنه ، لأنهم يحتاجون في إثارته إلى جمع كبير ، ونفقات واسعة . فإن فيه مالاً عظيماً . فنظر مولاي إلى شيخٍ من اصحابه يُعرف بالرافقي من أهل الثغر فضمه اليهم . وتقدّم الي [٤] عامل معونه [٥] الجيزة في دفع جميع ما يحتاجون اليه

(١) وقد نقل هذه الرواية عنه : تقي الدين المقريزي في خططه ١ : ٦٦ ، وكذلك في رسالته « شذور العقود في ذكر النقود » راجع ذلك في الصفحة ٥٦ — ٥٧ من طبعة الأب أنستاس ماري الكرملي ، ضمن كتابه : النقود العربية وعلم النميات القاهرة ١٩٣٩ . وص ١٢ من طبعة الجوائب باستانبول سنة ١٢٩٨ هـ . (٢) في المقريزي : إلا بشورة . (٣) قابل هذا بما ورد مثلاً في « قانون الآثار القديمة » العراقية ، رقم ٥٩ لسنة ١٩٣٦ ، فقد نصت المادة ٢٠ منه على ان حق التنقيب من الآثار القديمة ، ينحصر في الحكومة وفي الهيئات أو الأفراد الذين تخوّلهم ذلك وفقاً لأحكام هذا القانون . فلا يسوغ لأحد ان يُقدم على التنقيب عن الآثار القديمة بدون أن يحصل على اجازة رسميه ، حتى ولو كانت الأرض ملكاً له . وفي الفقرة ح من المادة ٢٤ ، وكذلك في المادة ٢٦ من هذا القانون ، إشارة الى الممثل الذي تندبه مديرية الآثار القديمة ، ليرافق البعثة التنقيبية ، ويقف على الاوثارة والاستعانة ، فيكون همزة الوصل بين المديرية والبعثة في أثناء التنقيب . (٤) تقدم الى : بمعنى أمر . . (٥) عامل المعونة ، ويسمى أيضاً صاحب المعونة ، أو والي المعونة ، أو ناظر المعونة هو على ما قال الشريشي في شرح مقامات الحريري « ١ : ٣٩١ طبعة بولاق سنة ١٣٠٠ هـ ، في شرح المقامة الثالثة والعشرين » : والي الجنايات ، يقال : ولي فلان المعونة أي ولي العون ، أي ولاه السلطان عونه على حفظ المدينة .

من الرجال والنفقات . وانصرف مولاي ، فأقام القوم مدةً يعملون حتى ظهرت لهم العلامات . فوافانا الرافقي وأعلم مولاي بذلك ، وأن أمره قد قَرُب . فركب وسرنا معه حتى وقف على الموضع . فلما رآه الناس جدُّوا في الحفر ، فكشفوا عن حوض كبير عظيم مملوء دنانير ، وعليه غطاء مكتوب عليه بالبزنطية[1] ، فأحضروا من قرأه فكان : أنا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من شؤونه [شَوْبِهِ] وغشه وأدناسه ، فمن أراد ان يعلم فضل مُلكي على مُلكه ، فلينظر الى فضل عيار ديناري على عيار ديناره ، فان مُخلص الذهب من الغش مُخلص في محياه وبعد مماته . فقال مولاي : الحمد لله يا نسيم . ما نبهتني عليه هذه الكتابة أحبّ اليّ من المال ، ثم أمر لكل رجل كان يعمل فيه بمائة[2] دينار ، ووفى الصناع أجرتهم ، ووهب لكل رجل منهم خمسة دنانير ، ودفع الى الرافقي منه ثلاثمائة دينار ، وقال لي : يا نسيم ، خذْ لنفسك منه ما شئتَ ، فقلتُ ما يأمرني به مولاي . فقال لي : خُذْ منه ملء كفيك جميعاً ، وخذ من غيره من بيت المال مثل ذلك مرتين ، فاني أشح على هذا . فبسطتُ كفي فملأهما ، فحصل لي منه الف دينار ، وكان عيار الدينار منه أجود من عيار السندي بن شاهك ومن عيار المعتصم ، ولم يكن يُري أجود منهما . فتشدّد مولاي من ذلك اليوم في العيار ، حتى لحق ديناره

(١) قال ناشر الكتاب محمد كرد علي بك : إنها اللغة التي يُتكلم بها في بزنطية وهي اليونانية . وفي خطط المقريزي وكذلك في رسالته في النقود ، ص ١٣ من طبعة مطبعة الجوائب : البربطية بدل البزنطية . ويقول الأستاذ فيت في تعليقاته على الخطط المصرية : إن الأقرب ان تُقرأ باللغة البرابية لغة البرابي . والبرابي جمع بربا كلمة قبطية وهي الهياكل لقدماء المصريين ، قاله العلامة كرنكو في تعليقاته على كتاب الجماهر للبيروني اهـ . وقال الأب أنستاس ماري الكرملي (النقود العربية وعلم النميات حاشية الصفحه ٥٦) : « البربى بناء كثير التاريج والتلافيف ولا سيما ما كان منها في ديار مصر ، ويُرى من نظائرها في اقريطش ، وفيها كتابات في اللغة المصرية القديمة ، ويسميها الفربيون الكتابة الهيرغليفية ، والأحسن لنا العرب ، أن نقول : البربوية . وهنا دليل على أن بعض القبط كان يقرأ البربوية ويفهمها ، وذلك في سنة ٨٧٠ الميلاد . وشمبوليون قرأها في سنة ١٢٣٧ للهجرة أى سنة ١٨٢٢ الميلاد . (٢) في خطط المقريزي : بمائتي دينار . وكذلك ما في رسالة النقود .

بالعيار المعروف به، وهو الأحمدي[١] الذي لا يطلى[٢] بأجود منه[٣] » .

وفي كتاب « نشوار المحاضرة » للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي، المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م)، وهو من أطرف التصانيف القديمه وأحفلها بالفوائد، إشارة خفيفة الى ما كان يعثر عليه الناس قديماً من قطع النقود في بعض أنحاء واسط والبصرة مما يلي الطفوف . وهي هناك أخربة عريقة في القدم غنية بآثارها « فقد يجد الناس، ممن يجتاز بذلك الموضع أو يقصده، دراهمَ وجواهرَ حول تلك الخربات والقبة، وقد يأوي الى تلك الخربات النعام وتبيض فيها لخلوّها وانقطاع الناس عن الاجتياز بها إلاّ في الحين بعد الحين[٤] » .

ومن أحاسن الأخبار الواردة في هذا الباب، ما نقله التنوخي في كتاب « الفرج بعد الشدّة » فقال ما هذا نصه : « حدّثني ابو الربيع سليمان بن داود، وكانت جدّته تُعرف بشمسة قهرمانة، كانت في دار القاضي أبي عمر محمد بن يوسف رحمه الله قال : كان في جوار القاضي قديماً رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مالٌ جليل بعد فقرٍ طويل . وكنتُ أسمع ان ابا عمر حماه من السلطان . فسألتُ عن الحكاية فدافعني طويلاً ثم حدّثني فقال : ورثتُ من أبي مالاً جليلاً فأسرفتُ فيه وأتلفته حتى أفضيتُ الى بيع أبواب داري وسقوفها، ولم يبق لي في الدنيا حيلة، وبقيتُ مدةً لا قوت لي إلاّ من بيع أمي لما تغزله وتطعمني ونفسها منه، فتمنيتُ الموت . فرأيتُ في منامي كأنّ قائلاً يقول لي : غناك بمصر فاخرجْ اليها ! فبكرتُ الى ابي عمر القاضي وتوسلت اليه بالجوار والخدمة التي كانت من أبي لأبيه، وسألته ان يزوّدني كتاباً الى مصر لأتصرّف بها، ففعل . وخرجتُ فلما حصلتُ مصر . وصلتُ الكتاب وسألت التصرّف فسد الله علي التصرف حتى لم أظفر

(١) ذكر المقريزي في رسالته النقود الاسلامية (ص ٥٤ من طبعة الأب انستاس الكرملي) ان الأمير أبا العباس احمد بن طولون، ضرب بمصر دنانير عرفت بالأحمدية، وكان سبب ضربها هذه الحادثة التي وقعت له في الأهرام، والعثور على الدنانير هناك . (٢) في المقريزي : لا يصاب بأجود منه . (٣) سيرة احمد بن طولون (ص ١٩٤ — ١٩٦) . (٤) نشوار المحاضرة (٨ : ١٠٤ طبعة المجمع العلمي العربي) .

بتصرف ولا لاح لي شغل ، ونفدت نفقتي فبقيتُ متحيراً وفكرت في أن أسأل الناس وأمدَّ يدي الى الطريق ، فلم تسمح نفسي بذلك . فقلت : أخرج ليلاً وأسأل الناس بين العشاءين ، فما زلت أمشي في الطريق وتأبى نفسي المسألة ويحملني الجوع عليها وأنا ممتنع الى ان مضى من الليل نصفه ، فلقيني الطائف[1] ، فقبض عليَّ فوجدني غريباً فأنكر حالي ، فسألني فقلتُ : رجلٌ غريب ضعيف ، فلم يصدقني وبطحني وضربني مقارع ، فصحتُ وقلت له انا أصدق ! فقال : هات ، فقصصتُ عليه قصتي من أولها وحديث المنام . فقال لي : أنتَ رجلٌ ما رأيت أحمق منك ، والله لقد رأيتُ منذ كذا وكذا سنة في النوم ، كأن قائلاً يقول لي : ببغداد ، بالشارع الفلاني ، بالمحلة الفلانية ، قال : فذكر شارعي ومحلتي ، فسكتُّ وأصغيتُ وأتم الشرطي الحديث . فقال دار يقال لها دار فلان ، فذكر داري واسمي ، وفيها بستان فيها سِدْرة[2] تحتها مدفون ثلاثون الف دينار ، فامضِ فخذها ، فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت أحمق فارقتَ وطنك وأهلك وجئتَ الى مصر بسبب منام ؟ قال : فقوي قلبي بذلك ، وأطلقني الطائف فبتُّ في مسجد ، وخرجتُ في غدٍ من مصر وقدمت بغداد ، فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدتُ فيها قمقاً فيه ثلاثون الف دينار ، فأخذتها ودبرتُ أمري ، فأنا أعيش من تلك الدنانير وكلما ابتعته منها من ضيعة وعقار الى الآن[3] » .

ومن أظرف الحوادث الواردة في هذا الباب وأغربها ، ما نقله ياقوت الحموي في ترجمة أبي بكر محمد بن احمد بن عبد الباقي الدقاق المعروف بابن الخاضبة ، المتوفى في سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ م) . واليك تفصيل الخبر : « ذكر أبو بكر ابن الخاضبة رحمه الله ، انه كان ليلةً من الليالي قاعداً ينسخ شيئاً من الحديث ، بعد ان مضى قطعة من الليل . قال وكنت ضيق اليد ، فخرجتْ فأرة كبيرة وجعلتْ تعدو في البيت ، وإذا بعد ساعة قد خرجتْ أخرى ، وجعلا يلعبان بين يديَّ ويتقافزان

(١) الطائف : العسس وهو الذي يدور في الليل حول البيوت حافظاً (تاج العروس . مادة : ط و ف) .   (٢) السدرة : شجرة النبق .   (٣) الفرج بعد الشدة التنوخي (١ : ١٦٨ — ١٦٩ ، مطبعة الهلال سنة ١٩٠٣) .

إلى أن دَنوا من من ضوء السراج ، وتقدمت إحداهما اليَّ ، وكانت بين يديّ طاسة فأكببتها عليها ، فجاءت صاحبتها فدخل [١] سَرَبه ، وإذا بعد ساعة قد خرج وفي فيه دينار صحيح وتركه بين يديّ ، فنظرتُ اليه وسكتُ واشتغلت بالنسخ ، ومكث ساعة ينظر إليّ ، فرجع وجاء بدينار آخر ومكث ساعةً أخرى وأنا ساكت أنظر وأنسخ ، فكان يمضي ويجيء الى أن جاء بأربعة دنانير أو خمسة ، الشك مني ، وقعد زماناً طويلاً أطول من كل نوبةٍ ، ورجع ودخل سربه وخرج وإذا في فيه جليدة كانت فيها الدنانير وتركها فوق الدنانير ، فعرفت انه ما بقي معه شيء . فرفعت الطاسة فقفزا فدخلا البيت . وأخذتُ الدنانير وانفقتها في مهم لي ، وكان في كلّ دينار دينار وربع [٢] » .

وقد ساق لنا كمال الدين ابن الفوطي المؤرخ البغدادي الشهير ، خبر العثور على كنز دفين من النقود العتيقة في مدينة بغداد سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) وهـذا كلامه بالحرف الواحد : « وفيها [٦٤١ هـ] حُفر لميت في الشهداء بمقبرة باب حرب ، فوجد الحفار جرة مملوءة دراهم يونانية ، ومما ضُرب في الاسلام بالمدينة ، صلوات الله على ساكنها . فأحضرها الحفارون الى المحتسب ابن الجوزي ، فمضى بها الى دار الوزير ، فتقدّم اليه بالمضي الى هناك واعتبار الحفر ، فمضى ، وحفروا حوله فوجدوا جرة أخرى كان بها نحو عشرة آلاف درهم [٣] » .

ومثل هذا الاكتشاف الخطير ، ما حصل في سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، وهو خبر طريف رواه ابن الفوطي ذاته بقوله : « وفيها [٦٤٧ هـ] أمر الخليفة بعمارة سور مشهد موسى بن جعفر عليه السلام ، فلما شرعوا في ذلك ، وجدوا بَرْنِيَّةً فيها ألفا

---

(١) الضمائر الواردة بعد ذلك كلها بالتذكير خلافاً لما يقتضيه السياق المتقدم .

(٢) معجم الأدباء (٦ : ٣٢٧ طبعة مرجليوث = ١٧ : ٢٢٨ — ٢٢٩ طبعة رفاعي) .

(٣) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (بتحقيق الدكتور مصطفى جواد . بغداد ١٣٥١ هـ ، ص ١٨٦) .

درهم قديمة ، منها يونانية عليها صوَر ، ومنها ضرب بغداد سنة نيف وثلاثين ومائه[1] ، ومنها ما هو ضرب واسط يقارب هذا التاريخ . فعرضت على الخليفة ، فأمر أن تُصرف في عمارة المشهد ، فاشتراها الناس بأوفر الأثمان ، وأُهدي منها الى الأكابر فنفذوا الى المشهد أضعاف ما كان حُمل اليهم[2] » .

ولا يخفى على القارئ ما في هذين الخبرين من قيمةٍ في درس التاريخ والآثار معاً ، بكونهما يدلاّننا على وجود الشيء الكثير من النقود غير الاسلامية مطموراً في بغداد أو في ما جاورها من بقاع ؛ ويكون الثاني يشير الى عمارة سور أحد المشاهد المشهورة في العراق ، وذلك في عهد المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس ببغداد .

وفي الواقع ، إنّ النقود اليونانية شاعت في بعض جهات العراق ، خلال العصر السلوقي (٣١٢ — ٢٤٩ ق . م) . وقد عُثر في غير موطنٍ من العراق ، على نقودٍ من هذا القبيل تفرّقت هنا وهناك . ومن أثمن اللُّقى التي وقف عليها علماء الآثار في هذا الباب ، ما كشفت عنه بعثة جامعة مشيغان الأميركية ، سنة ١٩٢٧ — ١٩٣٢ من قطع النقود اليونانية المتعددة التي عثرت عليها في سلوقية المدائن على دجلة ، فوصفتها وصفاً دقيقاً في مجلدٍ حسَن ، عنوانه :

R. H. Mc Dowell : Coins from Seleucia on the Tigris (1935) .

ولسنا نعلم بوجه التحقيق ، ما كان يصنع الناس يوم ذاك ، وهم في بغداد مثلاً ، بتلك النقود اليونانية حين عثورهم عليها ، أكانوا يتداولونها بينهم إلى جانب ما كان شائعاً عندهم من نقود بني العباس ، وهو رأي مستضعف ؛ أم كانوا يبعثون بها الى بعض البلدان التي قد تروج فيها مثل هاتيك النقود بالرغم من تَقادُم عهدها ؛ أم كانوا لا يتبعون هذا ولا ذاك ، بل يعمدون إلى قِطع النقود فيصهرونها أو يكسرونها أو يحتفظون بها ؛ بحسب ما يتراءى لهم أو بما تقتضيه مصالحهم ؟

---

(١) في هذا التاريخ نظر . فان بغداد لم تؤسس إلا في سنة ١٤٥ هـ . فلعل الأصل « سنة نيف وثمانين ومائة » ، أو « سنة نيف وثلاثين ومائتين » .

(٢) الحوادث الجامعة (ص ٢٦٨) .

وفي بعض مراجع تاريخ الاسلام ، روايات وأخبار أخرى مختلفة ، وفي بعضها ما يدلّ على وقوف القوم على شيء من نقود اليهود ، عُثر عليها في صحراء سيناء . قال المقريزي في هذا الصدد :

«واتفق انّ المماليك البحرية لما خرجوا من القاهرة هاربين في سنة اثنتين وخمسين وستمائة (١٢٥٤ م) مرّ طائفة منهم بالتيه ، فتاهوا فيه خمسة أيام ، ثم تراءى لهم في اليوم السادس سوادٌ على بُعد ، فقصدوه ، فاذا مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلها من رخام أبيض ، فدخلوا بها وطافوا بها ، فاذا هي قد غلب عليها الرمل حتى طمّ أسواقها ودورها . ووجدوا بها أواني وملابس ، وكانوا اذا تناولوا منها شيئاً تناثر من طول البلى . ووجدوا في صينية بعض البزّازين تسعة دنانير ذهباً عليها صورة غزال وكتابة عبرانية ، وحفروا موضعاً فاذا حجر على صهريج ماء ، فشربوا منه ماءً أبرد من الثلج . ثم خرجوا ومشوا ليلةً ، فاذا بطائفةٍ من العربان فحملوهم الى مدينة الكرك ، فدفعوا الدنانير لبعض الصيارفة ، فاذا عليها انها ضُربت في أيام موسى عليه السلام ، ودُفع لهم في كل دينار مائة درهم [١] » .

ومن طريف الأخبار الواردة في هذا الباب ، ما حصل في سنة ٦٦٢ هـ [١٢٦٣م] بمصر من العثور على فلوس عتيقة . وقد نقل لنا المقريزي خبر هذا الحادث في خططه بقوله : «وفي شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة ، أُحضر الى الملك الظاهر بيبرس ، فلوسٌ وُجدت مدفونة بقوص . فأُخذ منها فلس ، فاذا على احد وجهيه صورة ملك واقف ، وفي يده اليمنى ميزان وفي اليسرى سيف . وعلى الوجه الآخر رأس فيه أذن كبيرة وعين مفتوحة . وبدائر الفلس كتابة ، فقرأها راهب يوناني ، فكان تاريخه الى وقت قراءته الفين وثلثمائة سنة ، وفيه : أنا غلياث الملك ، ميزان العدل والكرم في يميني لمن أطاع ، والسيف في يساري لمن عصى . وفي الوجه الآخر : أنا غلياث الملك ، أذني مفتوحة لسماع المظلوم ، وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح ملكي [٢] » .

(١) خطط المقريزي (١ : ٣٦٦) . (٢) خطط المقريزي (١ : ٣٨١) وانظر أيضاً : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٥ : ٣٠٨) .

فلو أن شيئاً من تلك الفلوس سلم الى يومنا هذا، لبلغ عمره الآن — ان صحت قراءة الراهب — نحواً من ثلاثة آلاف سنة، ومعنى ذلك انها ضُربت قبل الميلاد بنيف وألف سنة . فإلى اية دولةٍ كانت تعود؟ وأين ضُربت؟

وقد أشار غير واحدٍ من المؤرخين الى خبر وجود نقود قديمة في مدينة عسقلان سنة ٦٦٩ هـ [١٢٧٠ م] . فنقل ابن كثير، ان السلطان الملك الظاهر «في مستهل صفر منها، ركب من الديار المصرية في طائفةٍ من العسكر إلى عسقلان، فهدم ما بقي من سورها مما كان أُهمل في الدولة الصلاحية، ووجد في الهدم كوزين فيهما الفا دينار، ففرّقهما على الأمراء[١]» .

وساق ابن تغري بردي[٢] هذا الخبر باختلاف يسير عما ذكره ابن كثير، فاقتصرنا على الإشارة اليه .

وذكر ابن العماد الحنبلي في ترجمة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي، المتوفى سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م)، انه «كان يحفر مكاناً في جبل الصالحية لبعض شأنه، فوجد جرّةً مملوءة دنانير . وكانت زوجته معه تعينه على الحفر . فاسترجع وطمّ المكان كما كان أولاً وقال لزوجته : هذه فتنة، ولعل لها مستحقين لا نعرفهم، وعاهدها على أنها لا تُشعر بذلك أحداً ولا تتعرّض اليه، وكانت صالحةً مثله . فتركا ذلك تورعاً مع فقرهما وحاجتهما، وهذا غاية الورع والزهد[٣]» .

والله تعالى وحده يعلم أين صار هذا الكنز، وماذا حلّ به!

ومن الاخبار التي يحسن بنا إيرادها في هذا الصدد، ما ذكره عبد الله بن فتح الله البغدادي الملقب بالغياثي الذي كان حياً في سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٨ م) : فقد قال في جملة أحداث سنة ٨٦٧ هـ (١٤٦٢ م) :

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ (١٣ : ٢٥٨) . (٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٧ : ١٤٩ طبعة دار الكتب المصرية) . (٣) شذرات الذهب (٥ : ٤٠٦) .

« بينا الأمير سيدي علي يعمر أرضاً برواق عزيز[1] ، إذ وقع بسرداب

(١) قال مصطفى جواد : ورد ذكر « رواق عزيز » أول مرة في عصرنا، في لغة العرب (٦: ٣٦٨ السطر ١٣) ، ولكنه مصحَّف إلى « رواق النزر » ، وهو هناك منقول من كتاب الدرر الكامنة في ترجمة الشيخ حسن بك الكبير . قال ابن حجر : ولما كان في سنة ٧٤٩ توجه الشيخ حسن إلى تستر ... وعاد فوجد نوابه في بغداد قد وجدوا في رواق النزر ... » إلى آخر الحكاية المذكورة أيضاً في المطبوع (٢ : ١٤) . وفي المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي . مرتين : الأولى في ترجمة الشيخ حسن المذكور بصورة « رواق العزيز » والثانية في ترجمة صفي الدين الأرموي بصورة [رواق عزيز] . ولا نشك في أن العزيز صفة للرواق ، وكان مثل هذا الوصف يعدّ من [آداب رسوم الدولة العباسية] كما قالوا [الديوان العزيز] و [المخزن المعمور] و [العسكر المنصور] . إلا أن الأعاجم لا ينطلق لسانهم بالتعريف فقالوا [رواق عزيز] . وكان هذا الرواق مشهوراً في بغداد حتى بقي اسمه إلى أيامنا في قول الناس [درب الرواق] وهو المصاقب للبنك الشرقي. وهم يسمون أيضاً درباً آخر في سوق العطارين يمنة جامع مرجان بدرب الرواق أيضاً . فكأنهما كانا يفضيان كلاهما إلى الرواق . وقد ورد ذكره في الحوادث الجامعة (كما في ص ٢٩٦) في أخبار مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير : [فلما دخل دار الخليفة ووقع نظره (أي نظر المستعصم بالله وذلك سنة ٦٥٣ هـ) عليه ، قبل الأرض ... ثم عدل به الى الرواق وخلع عليه وعلى ولديه ...] .

ويهمنا كثيراً أن نعرف موضع هذا الرواق ، قال بل نقل ابن تغري بردي في المنهل الصافي ، حكاية صفي الدين عبد المؤمن الأرموي عن نفسه : [ثم ان الخلافة وصلت إلى المستعصم فعمر خزانتي كتب متقابلتين برواق عزيز وأمر أن يختار لهما كاتبان يكتبان ما يجد ...] . وقال ابن عبد الحق في المراصد [مادة : منظرة الريحانيين] : (منظرة الريحانيين : منظرة على السوق المشهور المعروف بالريحانيين في وسط بغداد ، تباع فيه الرياحين والفواكه ، ويتصل بسوق الصرف وغيره . وهذه المنظرة أحدثها المستظهر بالله ، وهي متصلة بالدار التي كان يسكنها الخليفة ، ومن ورائها بستان كبير متسع ، وفيه خزانتان متقابلتان للكتب ، أنشأهما الإمام الشهيد المستعصم بالله من وراء المنظرة ، وهي بباب بدر وهو أحد أبواب دار الخلافة وكان أولاً يسمى باب الخاصة ...) .

وهذا يدلنا على ان رواق عزيز كان متصلاً بالبستان هو ومنظرة الريحانيين وقربها الخزانات . وإذ كان باب بدر من البدرية ، وكانت البدرية في الموضع الذي وراء جامع مرجان حتى لأكاد أظن أن موضع جامع مرجان كان خالياً من بناء لأنه كان ساحة للبدرية ، وجب أن يكون الرواق في البقعة التي بين البنك الشرقي وجامع مرجان حتى أملاك الخضيري التي كانت خاناً .

أما البستان والمنظرة فقد ذكر ابن عبد الحق حالها في المراصد أيضاً [مادة : دار الريحانيين]—

فيه مال عظيم من الذهب الأحمر، فأعلم بها بيربوداق[1]. ووزنوها، فكانت سبعمائة من بوزن تبريز، سبع قناطير حلبية، كلها مسكوكة بسكة الخليفة الناصر لدين الله[2]. ذهب إبريز تام العيار، وكان من أموال الخليفة الناصر، وقد دفنه وزرع فوقه الشجر والنارنج حتى لا يفطن به. وكذلك كان قد فعل الخليفة الناصر، فانه كان مولعاً[3] بجمع الذهب وحبه، لكن جميع ما دفنه استخرجه ولده المستنصر[4]، وله قصة طويلة وأخرجه على العمارات وأبواب البرّ. وأراد سيدي علي ان يجعل تلك الأرض ديوان خانة، فبينما البناؤون يحفرون الأساس وقعوابها. وتكلم الناس، فقال بعضهم: هذه عناية في حق بير بوداق. وكان المملوك بحلب، فقال[5]: هذه موعظة وتحذير ونكال من الله في حقه، أما الموعظة والتحذير أعطاه ذلك المال ليكفّ عن ظلم العباد وأذاهم فلم يفعل، بل زاد في غيه وظلمه، فصار نكالاً عليه[6]».

ومثل هذا ما ذكره ابن حجر العسقلاني بصدد العثور على كنز آخر في رواق عزيز الذي ربما بقي شيء من كنوزه حتى اليوم. قال في ترجمة الشيخ حسن بك حاكم العراق، المتوفى سنة ٧٥٧ هـ، «انه لما كان في سنة ٧٤٩ (١٣٤٨ م) توجه الى تستر ليأخذ من أهلها قطيعة قرّرها عليهم، فأخذها وعاد، فوجد نوّابه

— قال: (... قلت: خرب أكثر هذه الدار وبقي بستانها لا غرس فيه ولا زرع الى قريب فعمر وغرس به غرس يسير).

هذا ماعلمته من صفة [رواق عزيز] وتاريخه، ونسبته الناس التي أشرتُ اليها تؤيد ما ذكرت من حيث الموضع والتاريخ (انتهى كلام الدكتور مصطفى جواد).

(١) راجع أخبار [سيدي علي] و [بير بوداق] في المجلد الثالث من [تاريخ العراق بين احتلالين] للمحامي عباس العزاوي. (٢) دامت خلافته ببغداد من سنة ٥٧٥ الى ٦٢٢ هـ.

(٣) في المخطوط: فان كان مولع. (٤) المستنصر حفيد الناصر. وعن الدكتور مصطفى جواد: ان هذا وهم من المؤرخ، فان الذي أخذه المستنصر هو بركة الذهب المشهورة.

(٥) الكلام للغياثي. (٦) التاريخ الغياثي (نسختنا الخطية المنقولة من نسخة الأب أنستاس ماري الكرملي. ص ٢٧٧).

في بغداد قد وجدوا في رواق الغزر [كذا . والصواب رواق عزيز] ببغداد ، ثلاثة قدور مثل قدور الهريسة ، طول كلّ واحد منها نحو ذراعين ونصف ، والثلاثة مملوءة ذهباً مصرياً وصورياً ويوسفياً ، وفي بعض سكة الناصر البغدادي . فيقال جاء وزن ذلك أربعين قنطاراً بالبغدادي [1] » .

وفي زماننا هذا ، يقع الناس على النقود القديمة باتفاقات ومصادفات مختلفة . ولكن أغزرها كميةً وأجلها شأناً ما يُعثر عليه في أثناء التنقيبات الآثارية في أخربة المدن الدارسة وفي بطون التلال والمواطن القديمة التي لا تُحصى ، فيتهافت عليها مَن يُعنى بالنقود العتيقة من رجال العلم ، فينظفونها مما علق بها من أدران خلال العصور المتطاولة التي مرّت عليها . ثم يعمدون الى قراءتها ، وتصنيفها ، ووصفها وصفاً دقيقاً مفيداً ، يودعونه بطون تآليفهم التي يجني منها الباحثون والمؤرخون أشهى الثمار التاريخية الفنية .

(بغداد) كوركيس عواد

---

(١) الدرر الكامنة (٢ : ١٤) . وترجمة الشيخ حسن بك ، نشرها أول مرة ، المستشرق فريتس كرنكو في مجلة لغة العرب (٦ ، ١٩٢٨) ص ٣٦٨) .

تصحيح اغلاط كتاب البخلاء

- ٣ -

٦٥ — ١٥ إن تتخذ لعيالك في الشتاء (من) هذه المثلثة — (الأمن) .

على ذكر المثلثة اريد ان اتكلم عما يصنع من الحنطة من الأطعمة وفي ضمنها المثلثة فأقول : يصنع في العراق وخاصة في الموصل من الحنطة أطعمة شتى تدل بعض اسمائها على انهم تسلموها قديماً من الفرس . وهي على نوعين ، نوع يتخذ من الحنطة بعد سلقها ، ونوع دون سلق . ففي النوع الأول يأتون بحنطة مغربلة يغسلونها ويسلقونها بالماء في قدر كبيرة ويسمون هذا العمل (سلق البرغل) تسمية الشيء بما سيئول اليه ، ويسمون هذه الحنطة المسلوقة (برغلاً) او (سليقة) . وبعد نشرها وجفافها يرسلونها الى (الدنك) . والدنك مصطبة مدورة مبلطة في وسطها محور قائم تدور حوله بواسطة دابة خشبة قد ثبت في رأسها حجر صلب ضخم جداً مدور قطره نحو ذراعين وثخنه نحو ثلاثة ارباع الذراع . والدِنك كلمة فارسية الأصل يلفظونها في الموصل بفتح الدال وبكاف فارسية تفرش الحنطة المسلوقة على المصطبة وتبل برشها قليلاً بالماء وتدور الدابة حول المصطبة فتدور الحجر فوق الحنطة وعندها يقلب صاحب الدنك الحنطة بآلة كالمجرفة ذات يد طويلة يسمونها (الكورك) الى ان يعلم ان الحنطة قد انفصل عنها قشرها . فيأخذونها وينشرونها على الأسطحة حتى تجف ، ثم يأخذون منها مقداراً مقداراً في اطباق يحركونها نفضاً فتقع القشور على الأرض ويبقى الحب في الطبق . ويعرف هذا العمل عندهم بال (تنفيخ) . واهل القرى يذرّونها تذرية بالريح . وتسمى القشور المنفصلة بال (پوش) بياء فارسية . ثم يجرشونها بال (جاروشة) وهي الرحى التي تدار باليد . وصاروا في هذه السنين يجرشونها بماكنة . ثم يغربلونها بغرابيل متفاوتة الخشونة . فالقسم الخشن وهو الأعظم يسمونه (برغل التطبيق) يخلطون معه رشتة مقلية وهي عجين مقطع سيوراً دقيقةً ، والغالب ان يضيفوا اليها مقداراً من حمص مقشر مُفلس . ومن هذا يهيأ

طبيخ (البرغل) . والقسم الذي يكون أدق يخصص للكبب . وما كان ادق من هذا يهيأ منه طعام يدعى (الشكشوك) او (ناعمة البرغل) وما كان ادق من الشكشوك ، ويكون قليل المقدار طبعاً ، يعمل منه مع البصل والكرفس اليابس والفلفل والملح ما يسمونه (عروق البرغل) او (عروق الهواء) تخبز بالتنور .

وأما النوع الذي يكون دون ان تسلق الحنطة فانهم يختارون الحنطة الخشنة اعني كبيرة الحب فيغربلونها وينقونها ويرسلونها للدنك . وهنا يكون الدق بالدنك على ثلاثة ضروب . فانهم اما ان يوصوا صاحب الدنك بأن يدقها دقاً كاملاً ، والحاصل يسمونه (مدقوقة) . واما ان يوصوه بدقها ثلثي الدق الكامل ويسمون الحاصل (مثلثة) واما ان يوصوه بدقها نصف الدق المعتاد ويسمون الحاصل (دشيشة) او (نصف دقة) . ومن هذه الضروب الثلاثة تهيأ اطعمة مختلفة . فمن المدقوقة يهيأ ما يسمونه (كشكا) . واصل هذه الكلمة في الفارسية كشكاب او كشكاو وهو طعام يتخذ في الموصل من اللحم والمدقوقة يصبغونه بالكركم ويسكبون عليه بعد نضجه سمناً مقلياً . بيد ان غالب اهل القرى يطبخونها دون كركم ويسمونها (حبّية) ومن المدقوقة أيضاً تهيأ (الهريسة) و (اللبنية) وهي المضيرة . ومن المدقوقة يعمل (الكشك) وهو طعام خاص بأهل الموصل . يسلقون المدقوقة وبعد ان تبرد يعجنونها بخميرة عجين مستحلبة بالماء ويتركونها في برنية تختمر أياماً مع قضبان وورق السلجم فتحمض . فمن اراد أكل منها نيئةً . ويهيئون منها طبيخ الكشك هكذا : يأخذون ما اختمر في البرنية ويعصرونه على مصفاة ويأخذون عصارته ويرمون بالثفل ويطبخون العصارة مع قطع اللحم والسلق المفروم وقطع الباذنجان ، وقد يضاف اليها قطع السفرجل ويلقون في القدر كبباً قد حشوها باللحم والبصل والريحان ، فيكون طعاماً لذيذاً . ويجففون من المدقوقة المختمرة اقراصاً كبيرة يدخرونها لعمل الكشك ، ويطبخون منها مع العدس طعاماً يسمونه (كشك وعدس) .

واما المثلثة فتجرش وتغربل ، فما خرج خشناً يمكن استعماله للكشكا عوض المدقوقة ، وما كان أنعم يقوم مقام الدشيشة . فالمثلثة هي في الحقيقة متوسطة بين

المدقوقة والدشيشة ويمكن استعمالها عوض هذه وتلك . حتى ان بعض الناس يكتفي بعمل المثلثة وخاصة اذا تعذر وجود الحنطة الخشنة ، وحتى ان منهم من يطبخها عوض البرغل ويسميها (مبرغلة) .

واما الدشيشة المسماة نصف دقة أيضاً فانها تجرش كالمثلثة . فالخشن منها قد يستعمل عند الضرورة للكشك عوض المدقوقة . ويستعمل (لعروق التنور) و (لليبرغ) ، ويخلط مقدار منه مع برغل الكبب كي تتماسك الكبة فلا تتناثر . فأما عروق التنور فهي شيء كاللحمة بالعجين المعروفة في حلب وكخبز العروق المستعمل في بغداد . الا ان في عروق التنور الموصلية تكون الدشيشة عوض الطحين . تدعك الدشيشة مع خميرة عجين ولحم مفروم وبصل و كرفس يابس وملح وفلفل او فليفلة وفي زمان الطماطة يزاد قليل من الطماطة المقطعة وتترك ساعة ثم تخبز بالتنور . واما اليبرغ فهو اما ارز او دشيشة يخلط معها لحم سمين مفروم وتلف بورق الكرم الطري او بورق السلق او بورق الخبازى ، كل بوقته ، وتطبخ . وما كان من الدشيشة ادق مما ذكرنا فيهيأ منها ما يسمونه (عروق دشيشة) . يؤخذ هذا القسم من الدشيشة ويبل بقليل من الماء الحار وتعجن بشيء من خميرة العجين العادية وتترك ساعة . ثم تدعك مع ألية او شحم مفرومين . ويطبخ ارز على حدة ويؤخذ قطعة قطعة من هذه الدشيشة المهيأة وتسوى مدورة وتقعر وتحشى بتمر منزوع النوى مع قليل من الأرز المطبوخ وتسد وتسطح ثم تقلى بالسمن في مقلى . ويستخرج قسم من الدشيشة انعم من هذا القسم الأخير يسمى (سندارة) ولعلها في الأصل (سن دارا) وتستعمل للشوربا . وقليل من النساء من يستخرج قسماً آخر ادق من السندارة فتكون اجزاؤه اخشن من اجزاء الطحين بقليل يعرف عندهن باسم (بيض النمل) تشبيهاً ، يتخذنه للشوربا ايضاً . وهذه البابات مما ذكرنا تعزل باستعمال غرابيل مختلفة الخشونة . وفي الأماكن التي لا يوجد دنك وفي الأزمان التي تكون الدنوك معطله ، لأن الدنوك تشتغل في الخريف في موسم عمل المؤن فقط ، ترش الحنطة بقليل من الماء ويعبرون عن بل الحنطة هكذا بماء

قليل (بالتمنيش) ويدقونها في هاون كبير يقال له (الجاون) . وهذا الدق الذي يقصد منه ازالة القشور عن الحب يعرف (بالتهبيش) .

فهذه اسماء وافعال غالبها لا وجود له في المعاجم احببت تسجيلها بمناسبة التعريف بالمثلثة .

٦٦ — ٤ ويخرج (من الجوف) — ويُخرج (حرّ الجوف) .

٦٦ — ٦ وحسو (طارئ) — وحسو (حار) .

٦٦ — ٧ والوقود يسود كل شيء (وييبسه) وهو مربع في (المضم) — (وينتنه) وهو مربع في (المشيم) .

٦٦ — ١٢ مخاصيب (مناويب) — (متاريب) . جاء في التاج : واترب فهو مترب اذا استغنى وكثر ماله فصار كالتراب .

٦٨ — ٤ (فوقف) — (ووقف) اي السيد ، لا الغلام .

٦٨ — ٦ (اطرف) — (أضرَب) . معناها اشد وانكى وادهى . مستعملة عند عوام الموصل بهذا المعنى .

٦٨ — ٦ (مر الآن ! مر ! مر !) — (مر الآن ! مر ! مر !) .

٧٠ — ١٢ وان في زيق سراويله (نورة) — (لوتراً) كما في (ف) أي انه استعمل وتراً عوض التكة .

٧١ — ٢ فكان يرفع (يديه قبلنا) — (يده قبلنا) أي يكف عن الأكل قبلنا لكي يضطرنا الى ترك الطعام ولما نشبع .

٧٣ — ١ (غلمانه) — زائدة . وهو خطأ مطبعي .

٧٣ — ٤ (وقد) دفعت اليك آلة لحفظ (المال ،) عليك بكل حيلة (ثم ان) لم يكن — (ولو اني) دفعت اليك آلة لحفظ (المال) ... (ثم) لم يكن ...

٧٣ — ٧ (اعتزالاً) لك — (اغراء) لك .

٧٤ — ٣ (وجاوبت) — (وحاورت) .

٧٤ — ٩ (الرأس) — (الأس) لا شبهة في ذلك .

٧٤ — ٩ (كسر) الاكسير — (تركيب) .

٧٤ — ١٢ (تنبكت) خاتون — (تبنكت) .

٧٥ — ٥ علم (الادراك) — (الاوائل) .

٧٥ — ٩ لأني لم ابالغ في (محبتك) — (محنتك) اي اختبارك .

٧٦ — ١٢ ان يستريح من (شينه) — (سُبّته) .

٧٧ — ١١ (مسخنتك) — (مُجَنَّنْك) كما جاء في تعليقات (ف) في آخر طبعته .

٧٩ — ٣ كان آخر من (صادفني) — (صادقني) كما في تعليقات (ف) .

٧٩ — ٣ (ابو الأرطال) — لعلها (ابو الأبطال) .

٧٩ — ٣ وانا (مجيب) مردويه — لعلها (نَجّبْتُ) .

٧٩ — ٤ وانا اول من شرب الغربي حاراً (والبزد) بارداً. واول من شرب (العرق بالكبر) — (والبزيل) ... (والقرقف بالكبير) .

٧٩ — ٦ وجعل (المنقل قرعة) ، واول من ضرب (الشاهسبرم) على (ورق القرع) ، واول من لعب (باليرمع) في (البدو) ، واسقط الدف المربع من بين (الدفاف) (النُقْلَ بدعةً) ... (الشاهناز) على (وزن المزج) ، واول من لعب (بالمزهر) في (البدء) ... (الدفوف) .

٧٩ — ١٢ (فانهم) — (فأتيهم) كما وردت في ٢٩٨ — ١٤ .

٨١ — ٢ تقولون ولا (تعقلون) — (تفعلون) . يقصد اباه .

٨١ — ١٨ في الحاشية (محبوساً) — خطأ مطبعي . (مجوسياً) .

٨٢ — ٤ (يا مولاي) — (يا مولاتي) . بانو بالفارسية السيدة وربة الدار .

٨٣ — ٢ فان كان ثقة (مليئاً) والا اقام — (فيها) .

٨٣ — ٨ اذا واجر ، (كان) ... (وعمل) العاملين — (وكان) ... (عمل) .

٨٣ — بناه في الحاشية ١ : لعله راجع الى المشعب او ولي الولد — الصواب انه راجع الى الذي يفضي الى الهريقية .

٨٥ — ٣ وكان عريفهم بعد خالويه (سنة على ماه) — قد سقط من هذه

العبارة كلتان . تمامها : (وأبقى سننه على ما كان) اي سنن خالويه . والنون في المخطوطة بعد ما يدل على ان (كا) سقطت وبقيت هذه النون .

٨٥ — ٤ (سجني) — (سجين) .

٨٦ — ٢ (كيما كية) — لم تفسر . جاء في معجم البلدان كيماك ولاية واسعة في حدود الصين .

٨٦ — ٨ (واقسمه) — (وقسّمه) كما في (ص) .

٨٦ — ١٠ (نبتلى) على يد غيري — (نُبلَني) أي عطيتي . كأنه يقول يدي لا تطاوعني على الاعطاء .

٨٧ — ١٥ (هو) نجع — هو زائدة . غلط مطبعي .

٨٧ — ١٥ ان هو (غيره) — ان هو (الا غيره) . يعني ان هو الا ان يَنعوا الطعام جملةً ، لا الصباغ وحده . خلافًا لما جاء في الحاشية .

٨٨ — ٤ [فيري] بعضهم ان [غرم] دينار [او] ظاهر [لائمته] [محتمل] في رضا قلبه ؛ [وما] يرجو من نفع ذلك له (؟) — [فرأى] بعضهم ان [ذكره غرم] دينار [اثر] ظاهر [على منيته] وجميل في رضا قلبه ، [لما] يرجو من نفع ذلك له . يعني ببعضهم بعض الذين كانوا على مائدته .

٨٨ — ٧ وانه قال : [على] له — وانه قال له . على زائدة .

٨٨ — ١١ [الم أتعرّف] — [الم تعرف] .

٨٨ — ١٤ وتقول انت بقي : قليل — تقدم النقطتان على بقي .

٨٩ — ٥ جلد [القاذف الحرة] — [قاذف الحرة] .

٨٩ — ٦ كثير [العلم] ، فاشي الغلة — كثير [الغَنَم] .

٨٩ — ١٠ [التي] — غلط مطبعي ، صوابه [التي] .

٨٩ في الحاشية ١٠ ايضاح مغلوط . صوابه ان احمد بن المثنى يقول لما شق صاحب الدعوة الدجاجة العضلة واعطى نصفها للذي عن يمينه والنصف الآخر للذي عن شماله وقال للغلام ائتني بواحدة رخصة ، اساء ادب الضيافة مع ذينك

الرجلين لأنه اعطاهما ماهو دون وطلب لنفسه ماهو احسن • فحسب ان الرجلين سيغضبان ولن يعودا الى مائدته ابداً • لكنه وجدهما يفخران عليه اي على احمد لأن صاحب الدار حباهما بنصفي الدجاجة العضلة دونه •

٩٠ — ١ [فانطفت] — [وانطفأت] •

٩٠ — ٧ دلك [ذلك] — دلك زائدة يجب حذفها •

٩٠ — ١٣ مع علو [هم] — همة •

٩١ — ٤ [حظه] — [حقه] •

٩١ — ٦ [هان] عليّ [التحجيل] — [آد] عليّ [التخجيل] • اي ثقل عليّ فلم احمله •

٩١ — ١٦ الى منع [شبنه] — [شينه] •

٩٢ — ٣ [فحك بها] — [فحكته] كما في الأصل •

٩٢ — ١٢ وهو احد من [يبصره] — [ينصره] او [يميزه] •

٩٣ — ٦ [ولو كان] هذا البرد الحادث [في] تموز • وفي المخطوطة ولو كان هذا البرد الحادث كان في تموز — [ولو ان] هذا البرد الحادث [كان في] •

٩٣ — ٩ فأما لبس الصوف اليوم فهو [اليوم] غير جائز — اليوم الثانية زائدة •

٩٣ — ١٥ [الجزوع] الجرانية — [الجذوع] كما في [ف] •

٩٤ — ٣ [وا كتال] — [اكتال] كما في [ف ، ص] •

٩٤ — ٤ كيلة معلومة [بالميزان] — [ووزنها بالميزان] • اي انه بعد ان يكيل انواع الحبوب كيلاً يزنها وزناً ليشتري اوزنها •

٩٤ — ١١ — وكان اذا كان [جديد القميص] ومغسوله — وكان اذا كان [قد لبس جديد القميص] •

٩٥ — ١٤ فصرنا في حال لنا [ولا] علينا — لنا [لا] علينا •

٩٦ — ١٥ كبعض من [يأكل] ماله — [يُؤكل] • وهنـاك تشويش واختلاط في الحواشي وارقامها •

٩٨ — ١٠ والمال [زاهر] — [راهن] اي معد ، ثابت ، دائم ، قال الشاعر •

الخبز واللحم لهم راهن وقهوة راووقها ساكب

٩٩ — ٤ فكل ما اخذ منها الحزامي [اعطى] غيره — [اعطاه] غيره .

١٠٠ — ٢ [والارز] — [والارزة] . إنها وردت دائماً في هذا الكتاب ارزة كما في ١١٨ — ٨ و ١٢٠ — ٥ وغيرهما . فكأنما عندهم الأرز الحب المعروف والارزة طبيخ الأرز .

١٠٠ — ٢ [البستندود] — لا وجود لهذه الكلمة لا في المعاجم العربية ولا الفارسية . انما هي محرفة من [البُشْنزَة] بفتح الباء وضمها . كلمة فارسية . جاء في تبيان نافع در ترجمه برهان قاطع وهو ترجمة تركية للمعجم الفارسي المسمى برهان قاطع ما ترجمته : طعام معروف يهيأ من الدقيق والتمر او من خبز حار وسمن ودبس . اهـ . وهذا الشكل الثاني هو المقصود هنا ففيه دبس .

١٠٠ — ١٣ [وصفاً] — خطأ مطبعي . [وَصفا] .

١٠١ — ٧ ومن [ابراز] للقدر — خطأ مطبعي . [ابزار] .

١٠١ — ٨ وهو بعد هذا [شوم] و [حرقة] — [سوم] و [جزية] . وهذا تأكيد لقوله : « وهذا كله غرم » . والسوم الكلفة والالزام .

١٠١ — ١٤ [شاركت] المسرفين — [ساويت] . وهذه اقرب الى رسم الكلمة في المخطوطة

١٠٣ — ١ ادارة له عن [شينه] — [شيئه] اي ماله .

١٠٣ — ١٠ يغتذي [اللبن] — [باللبن] .

١٠٣ — ١٤ [ما ابالي احتملته] — [ما بالي احتمله] .

١٠٤ — ١٠ ولا شاكراً [لتثيبه] — [لتثبيته] . اي على الشكر وعرفان الجميل كما قال (غ) .

١٠٤ — ١٠ وانت تعلم حين [ينتحى] — [يُنَحّى] .

١٠٤ — ١١ ويغيب عن [عينك] — [عينيك] كما في (ص) .

١٠٤ — ١٢ ويُبقي على الأيام [ذكرُهُ] — [ذكرَه] .

(الموصل) يتبع : الدكتور داود الجلبي

مخطوطات ومطبوعات

الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي

بقلم عبد الرحمن الرافعي بك

أراد المؤلف بالثورة العرابية الحركة القومية التي ظهرت في أوائل سنة ١٨٨١ واستمرت الى خاتمة سنة ١٨٨٢ وغايتها انصاف الضباط الوطنيين وتخويلهم حقوقهم في المناصب والرتب العسكرية والتخلص من الاضطهاد الذي كانوا يعانونه من قبل الرؤساء الترك والشراكسة في الجيش ثم تطورت هذه الحركة فأصبحت حركة عامة اشتركت فيها طبقات الأمة كافة للتخلص من الحكم الاستبدادي وتقرير مبادئ العدل والحرية والدستور، وقد نجحت في تحقيق مطالب الضباط الوطنيين ومطالب الأمة معاً فنال الضباط حقوقهم في الترقي وتقرر النظام الدستوري وأنشئ مجلس النواب الذي تمثلت فيه سلطة الأمة وضمن للمصريين حقوقهم وحرياتهم .

* * *

هذه خلاصة الغاية التي ترمي اليها الثورة العرابية على نحو ما بينها الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك في مقدمة كتابه السادس من تأريخ الحركة القومية في مصر، وليس من الهين على ما اعتقد الكلام على الثورات الوطنية فقد تكون هذه الثورات شريفة في مبادئها ثم يقع كثير من الخطأ في خواتيمها، فيشكل الحكم عليها، ويختلف النظر فيها على اختلاف الأهواء، او على اختلاف الناحية التي ينظر اليها منها كل واحد، فقد يكون حكم فريق من الناس قاسياً بالنظر الى ما تجره من النوائب في بعض الأحيان او بالنظر الى اهتمام رجالها بأمورهم الخاصة أكثر من اهتمامهم بالأمور العامة، وقليل من المؤرخين من يكون نظره مجرداً نزيهاً في مثل هذه الثورات، ومن هذه الطبقة الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك فقد أحب أن يتصفح احوالها من غير سابق حكم عليها حتى يهتدي الى رأي فيها يرشده

اليه البحث والتمحيص فاستطاع على هذا النحو أن يشعر بغرضها النبيل وهو انقاذ الأمة من الاستبداد وتقرير قواعد الحكم الدستوري وتحرير البلاد من التدخل الأجنبي ولكن هذا الشعور لم يصرفه عن الاهتداء الى زلاتها وأخطائها ولا سيما أخطاء زعمائها وأقطابها ، ولا تتسع هذه الخلاصة للكلام على ما وقع في اثناء الثورة العرابية من اخطاء وأشباهها وانما المهم ان تعرف ان المؤلف كان مستقلّ الرأي في كلامه عليها .

شفيق جبري

مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال

بقلم عبد الرحمن الرافعي بك

يشتمل هذا الكتاب على تأريخ مصر القومي في خلال عشر سنوات ، من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢ .

والذي يطالع هذه الحلقة السابعة من تأريخ الحركة القومية للأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك ، لا مندوحة له عن مشاركة مصر في آلامها في خلال الاحتلال ، فقد تمّ في هذه السنين العشر إلغاء الجيش الوطني بحجة مناصرته للعرابيين وإنشاء جيش خالٍ من الروح الوطنية ومن القوتين المادية والمعنوية يتولى قيادته ضباط بريطانيون ، ثم وضع الممثل يده على الشرطة والغى قوانين الاصلاحات العسكرية وألغى البحرية المصرية وسيطر على المالية وأكره الحكومة المصرية على اتباع نصائحه وألغى دستور البلاد والخلاصة فقد استفاضت في الأمة عامة في خلال هذا الاحتلال روح الخضوع والاستسلام وضعفت روح المقاومة في النفوس مما كان له أثر بليغ في الانحلال القومي الذي أصيبت به الامة في ذلك العهد .

ولقد زاد في هذه الآلام كلها ثورة المهدي في السودان عقب الاحتلال فانها ادّت الى اضعاف هيبة الحكومة المصرية وفقد استقلالها واضطراب احوالها .

واذا أراد القارئ ان يعرف روح مصر العامة فى خلال الاحتلال فانه يجد تفصيلاً بليغاً لهذه الروح في الفصل الثاني عشر من الكتاب ، فقد تجلت في الكتاب كله وفي هذا الفصل خاصة نزعة المؤلف الوطنية وشدة مراقبته لنتائج الاحتلال في النواحي المتباينة : في الحكم والتعليم والحالات الاقتصادية والمالية والاجتماعية ، وقد جمع الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك هذه النتائج في الكلمة الآتية : انحلال في الوطنية ، انحلال في الأخلاق !

ش . ج

مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية

بقلم عبد الرحمن الرافعي بك

لا بدّ لمصر بعد هذا الضعف الذي أصابها في وطنيتها واخلاقها في خلال عشر السنوات التي تعاقبت على الاحتلال الانجليزي ، من رجل يبعث فيها روح الوطنية ، وقد كان هذا الرجل مصطفى كامل ، فقد ظهر سنة ١٨٩٠ على حين فترة من الحركة الوطنية وهجعة من الكفاح القومي والانحلال في الروح المعنوية كما أشار الى ذلك الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك في حلقته الثامنة من تأريخ الحركة القومية ، ظهر في ايام استفاض فيها الخضوع والاستسلام فدعا مصر الى النضال في سبيل حريتها واستقلالها في وقت تحالفت فيه عوامل اليأس والجمود فغلب على هذه العوامل كلها حتى لبّت الأمة دعوته ، فنهضت وجاهدت ورجع اليها شعورها بالحياة .

لقد أنصف المؤلف باعث الحركة الوطنية في كتابه الانصاف كله فجعل جهاده في خلال ثماني عشرة سنة اساساً للحركة الوطنية الحديثة وجعل هذا الجهاد مبدأ لثورة ١٩١٩ ، وعلى هذا النحو استطاع أن يصل الحركة الوطنية القديمة في مصر بالحركة الوطنية الحديثة ولكن ليس هذا المهم في كتابه انما المهم انه أدرك الادراك كله ان السياسة لا تخلو من المطامع الشخصية والمنافع الذاتية فصوّر مصطفى كامل في صورة المخلص المضحّي حتى يحمل رجال السياسة الذين يتجاوزون

مصالح الوطن على الاقتداء باخلاصه وبتضحيته وبتجرّده وحتى يعلّمهم ان السياسة لا تكون وسيلةً الى حطام الدنيا وانما هي غاية الى إصلاح الوطن ، ولقد كان تعليمه بليغاً ، على قدر اخلاصه في التأليف ، وعلى قدر شعوره بحقيقة الروح الوطنية .

ش . ج

محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية

بقلم عبد الرحمن الرافعي بك

هذه الحلقة الأخيرة من تأريخ الحركة القومية في مصر ، لقد فصّل فيها الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك الكلام على محمد فريد تفصيلاً دقيقاً ، لقد كان محمد فريد عضد مصطفى كامل في بعث الحركة الوطنية فقد لازمه وأيّده في جهاده وعاونه معاونة أدبية ومادية وظل وفياً له طول حياته ، وتولى قيادة الحركة الوطنية بعد وفاته ويقول المؤلف لولا تضحيات محمد فريد وا لامه ولولا ما بعثه في النفوس من الاخلاص والشجاعة والثبات والايمان لما كان لمصر تأريخ وطني في ذلك العهد ولانقلب هذا التأريخ سلسلة من خضوع للمحتلين وضعف في الأخلاق .

لقد توخى المؤلف ان تكون سيرة محمد فريد سبيلاً الى تطهير النفوس وبعث روح الايمان بالواجب والاخلاص في ادائه ، واذا فتشت عن كلمة اختتم بها الكلام على كتب الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك في تأريخ الحركة القومية في مصر ، فاني لا أجد الا الكلمة الآتية : لقد شعر قلب الأستاذ بالروح الوطنية أقوى شعور فاستطاع قلمه ان يدوّن هذا الشعور أبلغ تدوين ، والكتابة اذا كانت صادرة عن شعورٍ صادقٍ كان أثرها في القلوب صادقاً ، فلا ريب في أن كتب الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك في الموضوع الجليل الذي عالجه مفخرة من مفاخر مصر في يومنا هذا .

ش . ج

جابر بن حيان : تأليف بولس كراوس

مشاركة في تاريخ الأفكار العلمية في الإسلام ، الجزء الأول ، فهرس المؤلفات الجابرية . القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية — ١٩٤٣ ، ٢١٤ صفحة من القطع الكبير [١] .

هذا الكتاب هو الجزء الرابع والأربعون من رسائل المعهد المصري [٢] . وهو يشتمل على احصاء عام لكتب جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي . وقد رتبها المؤلف بحسب موضوعاتها فبلغ عددها ثلاثة آلاف كتاب ، وهي : ١- فهارس كتب جابر بن حيان وترتيب قراءتها ، ٢ — كتاب الرحمة ، ٣ — الكتب المائة والاثنا عشر ، ٤ — كتاب السبعين ، ٥ — المجموعات الصغرى وهي عشرة كتب مضافة الى السبعين يتلوها عشرة كتب في المصححات وعشرون كتاباً اخرى بأسمائها مع سبعة عشر كتاباً يتلوها ثلاثة كتب في الطهارة والتفسير والأعراض وثلاثون كتاباً لا اسماء لها واربع مقالات واربع وثلاثون رسالة ، ٦ — كتب الموازين وعددها ١٤٤ كتاباً ، ٧ — الكتب الخمس مائة ، ٨ — كتب المعادن السبعة ، ٩ — كتب الصنعة ، ١٠ — كتب الطلسمات والسحر ، ١١ — الكتب الطبية والصيدلية ، ١٢ — الكتب الفلسفية ، ١٣ — كتب الرياضيات والفلك والنجوم ، ١٤ — الكتب الدينية .

وقد اعتمد المؤلف في إحصاء هذه الكتب على المراجع الآتية :

١ — كتاب الفهرست لابن النديم ، ٢ — المخطوطات المحفوظة في خزائن الكتب ، ٣ — الإشارات الواردة في كتب القفطي والحاج خليفة وغيرهما ، ٤ — الاشارات الواردة في كتب جابر نفسه .

---

(١) Paul Kraus , Jàbir Ibn Hayyan , Contribution à l'histoire des idées scientifiques dans l'Islam . Volume 1 . Le Corpus des écrits jabiriens . Le caire . Imp . de l' Institut Français d'Arché - ologie orientale .

(٢) Mémoires presentés à l'Institut d' Egypte , tome quarante - quatrième .

فذكر اسم الكتاب والمظان التي اشارت اليه وبين اسماء الكتب المخطوطة التي لا تزال محفوظة في خزائن الكتب مع ارقامها وموضوعاتها ، واسماء الكتب المطبوعة ، والمترجمة ، واسماء المؤلفين الذين اخذوا عن جابر بن حيان أو اشاروا اليه ، واسماء المحدثين الذين كتبوا عنه وبينوا اثره في تاريخ الكيمياء وتاريخ الفكر العلمي .

وقد اختلف الناس في أمر جابر بن حيان فقالت الشيعة انه من كبارهم ، وزعموا انه كان صاحب جعفر الصادق ، وزعم آخرون انه من الفلاسفة ، وزعم اهل صناعة الذهب والفضة ان الرياسة انتهت اليه في عصره[1] . واختلاف الناس في امر جابر وكثرة عدد كتبه واختلاف اسلوبها وتباين اغراضها ، كل ذلك دعا صديقنا المرحوم بولس كراوس الى الشك في امر جابر ونسبة هذه الكتب اليه . فأثبت عن طريق النقد الخارجي أن بعض هذه الكتب منحول ، من ذلك ان اباسليمان المنطقي شيخ ابي حيان التوحيدي حكى نكتة عن حقيقة الكتب المنسوبة الى جابر بن حيان : ان الحسن بن النكد الموصلي كان صديقه وهو الذي كان يولف الكتب وينسبها الى جابر بن حيان ويحملها الى المتهوسين بصناعة الكيمياء فيحصل بها منهم الجملة الصالحة من الدراهم[2] . وقد ذكر ابن النديم ان جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين قالوا ان هذا الرجل — يعني جابراً — لا أصل له ولا حقيقة ، وبعضهم قال انه ما صنف ، وان كان له حقيقة ، الا كتاب الرحمة ، وان هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه اياها . قال ابن النديم : « وأنا أقول ان رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب فيصنف كتاباً يحتوي على الفي ورقة . يتعب قريحته وفكره باخراجه ، ويتعب يده وجسمه بنسخه ثم ينحله لغيره ، اما موجوداً أو معدوماً ، ضرب من الجهل . وان ذلك لا يستمر على أحد ، ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم . وأي فائدة في هذا ، وأي عائدة والرجل له حقيقة وأمره أظهر وأشهر ، وتصنيفاته أعظم وأكثر »[3] . وبديهي

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٦٩٩ ـ من طبعة القاهرة . (٢) كراوس ، فهرس المؤلفات الجابرية ، ص ٦٦ ، من المدخل . (٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٦٩٩ .

أن حجة ابن النديم انما هي حجة نفسية نظرية لا تكفي لرد ما يثيره النقد الداخلي والخارجي من الشكوك وليس نحل الكتب لغير مؤلفيها أمراً غير مألوف عند الأقدمين ، فقد نحلوا أرسطو كتاب الاثولوجيا ونحلوا بالينياس Apollonius كتاب الأسباب . وفي كتب جابر أدلة داخلية تثبت ان مؤلفها ليس شخصاً واحداً . فمن هذه الأدلة أن جابراً يعلن في الكتب المائة والاثني عشر وفي كتاب السبعين وفي كتب الموازين وفي الكتب الخمس مائة انه انما ألفها بأمر من سيده جعفر الصادق ، وانه كان يعرضها عليه في حياته ، فاذا كانت نسبة هذه الكتب الى جابر صحيحة وجب ان يكون تأليفها متقدماً على وفاة جعفر الصادق أي قبل عام ١٤٧ هـ . ويظهر من التحقيق التاريخي الذي قام به الاستاذ (كراوس) ان عمر جابر كان ٣٥ عاماً تقريباً يوم وفاة جعفر الصادق فهل يعقل ان تكون هذه المؤلفات كلها من نتاج الشباب . أضف الى ذلك ان بعض الكتب المائة والاثني عشر مهداة الى جعفر بن يحيى البرمكي مع أن جعفر البرمكي ولد عام ١٥٠ هـ . أي بعد وفاة جعفر الصادق . ومن هذه الأدلة اشتمال بعض الكتب على ذكر القرامطة واسم القرامطة لم يظهر على مسرح التاريخ الا في القرن الثالث للهجرة . ومنها اشتمال بعض الكتب على أصول اسماعيلية كالقول بشروق الشمس من المغرب والقول بالأئمة السبعة والإمام المنتظر والقول بالناطق والصامت ، والقول بترتيب الحروف ترتيباً جديداً ، كترتيب الأقانيم الثلاثة فالميم (محمد) ، والعين (علي) ، والسين (سلمان) مقلوبة عنده الى : ع — س — م — والإمام المنتظر انما هو فيض مباشر من حرف العين ، وهو متقدم بالرتبة على السين والميم ، فهذه الأدلة وغيرها تثبت على زعم (كراوس) ان الكتب المنسوبة الى جابر بن حيان انما هي تأليف جماعة لا تأليف شخص واحد ، وانها انما ألفت في القرنين الثالث والرابع ، ثم نحلها اصحابها جابر بن حيان وزعموا أنه كان يتلقى العلم مباشرة عن الإمام جعفر الصادق .

ومها يكن من أمر فان الاستاذ (كراوس) قد وفق في نقده التحليلي لاثارة الشكوك والشبه حول شخصية جابر بن حيان وكتبه • ولكن اثارة الشك السلبي شيء والبرهان القاطع على نسبة الكتب ومعرفة اصحابها وتاريخ تأليفها شيء آخر • وهذا البرهان الأخير يحتاج الى استقصاء أوسع وبحث أتم وأوفى •

جميل صليبا

The Excavations at Dura - Europos. Preliminary Report of the ninth season of work 1935 - 1936.Part I , The agora and bazaar . New Haven 1944 .

التقرير التمهيدي للدورة التاسعة من حفريات دورا — اروبوس عام ١٩٣٥ — ١٩٣٦ • عدد صفحاته (٢٧٠) و (٣٠) لوحة مصورة • طبع في نيوهافن عام ١٩٤٤

ان حفريات دورا — اروبوس (صالحية الفرات) كانت غنية بنتائجها الأثرية كما هي خصبة بنشراتها العلمية الممتعة • فقد اتحفت بعثة جامعة يل الأميركية المكتبة الأثرية بثمانية مجلدات عن نتيجة حفرياتها خلال ثماني سنوات • وهي تقدم اليوم تقريرها التاسع الحافل بالأبحاث الأثرية • وقد اشترك بوضع هذا التقرير اربعة من اعضاء هذه البعثة وفي مقدمتهم الأستاذ براون (F.E. Brown) المدير الحالي لمكتب انباء الحرب الأميركي في سورية ولبنان الذي كان له النصيب الأوفر فيما نشر في هذا التقرير • فقد تناول بحثه : الساحة العامة في دورا — اروبوس واسواقها وتطورها في مختلف العصور التي ازدهرت فيها هذه المدينة التجارية القديمة منذ العهد السلوقي الى ان قضى عليها الفرس في عام ٢٥٦ م • وقد بحث هذا الموضوع من جميع نواحيه وتوسع فيه اكثر مما يتطلبه تقرير تمهيدي كهذا • فجاءت دراسته جامعة مانعة تدل على سعة علم الباحث وطول باعه •

جعفر الحسني

The Excavation at Dura . Europos . Final report IV . Part . 1 fascicule 1 . The Green Glazed Pottery . by Nicholas Toll , New Haven 1943 .

القسم الأول من الجزء الأول من التقرير الرابع النهائي عن حفريات دورا — اروبوس الخزف المطلي بالزجاج الأخضر . تأليف نقولا تول . عدد صفحاته (٩٥) و (٢٠) لوحة مصورة . طبع في نيوهافن ١٩٤٣ .

هذا أحد تقارير بعثة جامعة يل الأميركية الأثرية التي نشرتها عن نتيجة حفرياتها في دورا اروبوس (صالحية الفرات) . وقد بحث فيه مؤلفه عن الخزف المطلي بالزجاج الأخضر الذي عثر عليه اثناء هذه الحفريات . وقد وجد منه عدد وافر في مختلف طبقات انقاض هذه المدينة المندرسة . ان الخزف بأنواعه هو اليوم من أهم العوامل التي يركن اليها المنقب في تحديد مختلف العصور في الحفريات الأثرية . فآلاف كسر الخزف التي يُعثر عليها في الحفريات وتبدو لغير ارباب الاختصاص تافهة وعارية من كل فائدة . هي بالحقيقة من اثمن الدلائل التي يستعين بها المنقب في استنتاجه وقلما يخطئ بفضلها في تقديره . وهذا النوع من الخزف الأخضر المبحوث عنه هو شائع في بلاد الشام ومصر والعراق . ولدى متاحف العالم الكبيرة نماذج متنوعة منه . وقد اختلفت الآراء في عصرها وتعيين موطنها بصورة قطعية . وقد توصل المؤلف بفضل ما عثر عليه من هذا الخزف في دورا — اروبوس من دراسة طريقة صنعه وتطوره وتحليل مواده ومقابلتها مع امثالها في البلاد المجاورة ومعرفة مواطن صناعة كل منها . وقد توفق بفضل كل ذلك من تصنيف انواعه واشكاله وتحديد تاريخ صناعتها خلال اربعة قرون اي من سنة ١٥٠ قبل الميلاد الى سنة ٢٥٦ ميلادية . وقد سد المؤلف بكتابه هذا ثلمة في عالم الخزف يشكر عليها .

ج . ح

التراث العربي The Arab heritage

مطبعة جامعة برنستن (نيوجرزي) ١٩٤٤ صفحاته ٢٧٩

يحوي هذا الكتاب معظم المحاضرات التي القيت في دورة الدراسات العربية الاسلامية في جامعة برنستن (في الولايات المتحدة) في صيف عام ١٩٤١ · ويظهر ان هذه المحاضرات التي تقام كل ثلاث سنوات لم يقتصر الاهتمام بها على المداومين النظاميين من الطلاب وانما تجاوزتهم الى بعض العلماء والمثقفين · وكان نشرها في هذا الكتاب بعد تعديلها وتنقيحها تلبية لرغبة الكثيرين · والأبحاث الموجودة في الكتاب قد كتبها جماعة من كبار المشتغلين بالدراسات العربية والاسلامية في جامعات الولايات المتحدة · وقد ظهر لهم ان نشر الكتاب ضروري خاصة في ايام هذه الحرب التي أصبح فيها العالم العربي يثير اهتمام الأمم المتحدة لدرجة قصوى ، وهو يعرف القارئ بما للعرب من ثروة تاريخية فكرية ثقافيـة ويطلعه على فضل هذه الثروة الفكرية على العالم الغربي في أوربا واميركا ·

وقد ساهم في كتابة هذه الأبحاث جماعة من الناطقين بالضاد وعلى رأسهم الدكتور فيليب حتي استاذ اللغات السامية وآدابها في جامعة برنستن ، كما ان محرر الكتاب هو الأستاذ نبيه فارس محافظ المخطوطات العربية الاسلامية في الجامعة نفسها ومساعد في قسم الأبحاث المتعلقة بدائرة اللغات الشرقية · يتكلم الدكتور فيليب حتي في الفصل الأول من الكتاب عن الدراسات الشرقية في اوربا واميركا ويبحث عن تطورها وترقيها وعن ضرورة الاهتمام بها للاخصائي ولكل من يهتم بشؤون العلم · وهذا الفصل هو عبارة عن مقدمة لسائر الأبحاث التي يطرقها الكتاب وهي منتقاة من بعض نواحي الحضارة العربية في جميع عصورها · فالاستاذ ديلا فيدا Della Vida (من جامعة بنسلفانيا) يبحث في الفصل الثاني عن الجزيرة العربية قبل الاسلام · ويليه بحث علمي ممتع للأستاذ اوبرمن Obermann (من جامعة يالـــ Yale) عن الاسلام واسسه وعلاقاته بالديانات السابقة كاليهودية والنصرانية ثم ·

يبحث الأستاذ فون كرونباوم Grunebaum (من جامعة شيكاغو) عن الشعر العربي بين القرنين الخامس والعاشر م كمظهر هام من مظاهر الفكر العربي . ويحاول الأستاذ نبيه فارس محرر الكتاب بيان حياة الامام الغزالي وآثاره كأنموذج للفلسفة وللرجال الذين انجبهم الاسلام والثقافة العربية .

ويبحث الأستاذ لامونت La Monte (من جامعة بنسلفانيا) في فصل طويل ممتع عن الحروب الصليبية فيلقي نظرة جديدة على الموضوع ولا يكتفي بدرسها كخلاف ديني وانما ينظر في النواحي السياسية والاقتصادية وفي العوامل البشرية والفردية في ذلك النزاع الذي دام مائتي سنة . ويكتب الأستاذ سافدج Savage (من جامعة برنستن) عن بلاد الشرق في القرن الرابع عشر م كما رآها سائح غربي أتى من فرنسا في تلك العصور التي بدا فيها الاحتكاك بين الشرق والغرب بنتيجة الحروب الصليبية . ويتناول الأستاذ ادورد جرجي (من جامعة برنستن) بحث تطور الناحية العلمية في الفكر العربي فيبحث مراجعها واثرها ونتائجها فيما يتعلق بازدهار العلوم في الغرب . واخيراً يتناول الأستاذ ايتنكهاوزن Ettinghausen (من جامعة ميشيغن) محرر مجلة الفنون الاسلامية ، الناحية الفنية في الثقافة العربية فيذكر خصائصها وطرق نموها وفضلها والعوامل التي اخرت نموها .

ومما يلاحظ في ابحاث هذا الكتاب ان قسماً منها عام مختصر ، وهي لا تشكل تاريخاً تاماً للحضارة العربية ولتأثيراتها الواسعة ، كما انها لا تشمل التراث العربي في جميع نواحيه . فبعض النواحي من حضارة العرب مهملة تماماً ؛ وفصول الكتاب متفاوتة من حيث التعمق في البحث وايفاء المواضيع حقها . والمراجع الواردة في نهاية بعض الفصول قليلة مختصرة لا تعرف القارئ بالمصادر الكافية اذا اراد اتمام البحث ، وقد يخلو بعض الفصول من ذكر مراجع عربية أصلية . غير ان الكتاب مع ذلك مفيد باعتبار الغاية التي وضع من أجلها وهي حمل القراء على التعرف بتاريخ العرب وبطرق تفكيرهم ومعيشتهم ، وعلى تقدير ثقافتهم وحضارتهم . ولا بد ان الكتاب يصل الى هذا الهدف ويحصل القارئ على فكرة قيمة عن حضارة العرب وتراثهم من

هذه النماذج التي يبحث الكتاب عنها • ويظهر ان المحرر قد حذف بعض اشارات الى المراجع في اسفل الصفحات كما حذف بعض المقتطفات التي كان يمكن ان تزيد في ثروة الكتاب العلمية ، وقد اضطر لهذا الحذف لأسباب مادية •

جورج حداد

تقرير الجمعية التاريخية الاميركية لعام ١٩٤١

المجلد الأول مطبعة حكومة الولايات المتحدة وشنطن ١٩٤٢ عدد الصفحات ٣٤٣

تابعت الجمعية التاريخية الأميركية نشر الوثائق الهامة المتعلقة بالتاريخ الاميركي واصدرت هذا المجلد الذي يحتوي في الحقيقة على ثلاثة اقسام • فالقسم الأول هو عبارة عن بيان لأعمال الجمعية في عام ١٩٤١ وفيه التقارير التي وضعت عن المؤتمرات المنعقدة في ذلك العام ومن اهمها مؤتمر تاريخ اميركا اللاتينية • والقسم الثاني يحوي مجموعة وثائق تاريخية ويتضمن الرسائل الخاصة المرسلة من السفارة الانكليزية في وشنطن الى وزير الخارجية اللورد غرانفيل بين ١٨٨٠ و ١٨٨٥ • والرسائل الموجودة في هذه المجموعة قد نسخت عن الوثائق الأصلية الكائنة بين مجموعة اوراق غرانفيل Granville في دائرة السجلات العامة ، وهي تحتوي آراء ممثلي انكلترا في السياسة الاميركية وفي الشخصيات السياسية وكذلك تلقي ضوءاً على مناقشة بعض المشاكل المتعلقة بالعلاقات الانكليزية الأميركية • واما القسم الثالث من هذا المجلد فانه يحوي لائحة المخطوطات التي دخلت مختلف مكاتب الولايات المتحدة في عام ١٩٤٠ • واللائحة تتضمن اسماء ١٢٧٨ مخطوطة موزعة على مختلف المكاتب في الكليات والجامعات والولايات • وكانت مكتبة الكونغرس في وشنطن قد جرت على عادة نشر اسماء المخطوطات في مختلف المجموعات العامة والخاصة كما ان دائرة السجلات التاريخية وضعت أكثر من دليل واحد لمجموعات المخطوطات • وكذلك اهتمت الجمعية التاريخية الأميركية بنشر لوائح المقتنيات الجديدة في دور المخطوطات بصورة دورية فشكلت ضمن لجنة نشر المصادر التاريخية لجنة فرعية للمخطوطات واخذت على عاتقها

نشر دليل سنوي يحتوي على لوائح الاضافات الجديدة في جميع اطراف البلاد ٠ وقد استجوبت هذه اللجنة جميع المراكز التي تعنى بجمع المخطوطات فوردت الاجوبة من عشرين ولاية فقط ونظمت اللائحة الموجودة في هذا المجلد بناء على هذه الأجوبة ٠ وهذه اللائحة مع الرسائل الموجهة الى وزير الخارجية الانكليزية تساعد المؤرخ الباحث وتلقي ضوءاً على بعض نواحي نشاط الجمعية التاريخية الأميركية ٠

ج ٠ ح

تاليران كمنظم مالي في أميركا ١٧٩٤ — ١٧٩٦

مطبعة حكومة الولايات المتحدة — وشنطن ١٩٤٢ عدد الصفحات ١٧٦

قامت الجمعية التاريخية الأميركية بترجمة هذه المذكرات التي وضعها السياسي الافرنسي تاليران وبنشرها خدمة للباحثين في تاريخ الولايات المتحدة الاقتصادي ٠ وقد غادر تاليران فرنسا في عهد حكومة المؤتمر الوطني (Convention) عندما اصبح النفوذ لحزب الجبليين وحين زالت آماله في اجراء تعاون سياسي اقتصادي دولي ٠ ويظهر ان غرضه في الولايات المتحدة كان انماء ثروته الخاصة والمساهمة في المضاربات المالية المتنوعة واعطاء المعلومات لأصدقائه الماليين في القارة الأوربية في وقت مناسب لاستثمار الأموال في الدولة الأميركية الناشئة ٠ ويظهر تاليران في هذه الأوراق والمراسلات كمنظم مالي خطير الشأن بين جماعة الماليين الدوليين اذ كان يمهد لادخال الدولة الجديدة الناشئة في منظمة الماليين العالمية ٠ واكتشاف هذا المخطوط المتعلق بحالة الولايات المتحدة الاقتصادية له قيمة من ناحيتين أولاً لأنه من وضع خبير مالي كبير هو تاليران وثانياً لأنه اعد في وقت خطير في حياة اميركا الاقتصادية عندما كانت الدولة تصطدم بمشكلة تنظيم علاقاتها التجارية والمالية مع اوربا في ازمة ثورة وحرب اوربية ٠

وجد هذا المخطوط في قلعة ساكان (Sagan) في سيليزيا حيث تسكن دوروتيا دوقة دينو ابنة اخت تاليران ووريثة اوراقه ٠ وبين هذه الأوراق اكتشف الدكتور

هانس هوت Huth — احد ناشري هذه المخطوطة — مجلداً يحتوي على ملاحظات تاليران عن الأعمال المالية في اميركا اعدها اثناء اقامته بين عامي ١٧٩٤ و ١٧٩٦ وقد ادرك الدكتور هوت قيمة هذا المجلد ونسخ محتوياته وأتى به الى الولايات المتحدة ٠ والمجلد المخطوط هذا هو عبارة عن مجموعة مذكرات وملاحظات وتحارير مكتوبة بعضها بخط تاليران وبعضها بكتابة غريبة ، ويظهر انه يحتوي الملاحظات المختلفة عن العلاقات المالية بين اميركا واوربا في أيام الثورة الافرنسية والحرب الأوربية التي أدت اليها ٠ ويظهر ان غرض تاليران كان جمع المواد لوضع مؤلف خاص او كتابة فصل في مذكراته الخاصة غير ان المؤلف لم يكتب وانما هذه الملاحظات اخذ منها تاليران مواد رسالته قرأها امام مجمع العلوم السياسية والاخلاقية عن علاقات الولايات المتحدة وانكلترا التجارية ٠ وقد نشرت المخطوطة بعد ترجمتها من قبل هانس هوت وويلما بوك Pugh ٠ وزادت الناشرة الآنسة بوك في قيمة المخطوطة فوضعت لها مقدمة في نحو عشرين صفحة حللت محتوياتها وعلقت عليها بمعلومات تاريخية فأصبح المجلد المنشور جزيل الفائدة ليس فقط لدراسة تاريخ اميركا الاقتصادي وانما لدراسة حياة تاليران نفسه ٠

ج ٠ ع

لائحة اطروحات الدكتوراه في التاريخ في جامعات الولايات المتحدة و كندا

طبع وشنطن ١٩٤٣ عدد الصفحات ٤٧

هذه ناحية أخرى من نواحي نشاط الجمعية التاريخية الأميركية نشرتها الجمعية بمجلد مستقل بين اجزاء تقريرها السنوي لعام ١٩٤١ ، واللائحة التي يحتويها هذا المجلد تتضمن مواضيع اطروحات الدكتوراه في التاريخ التي يجري العمل فيها في الولايات المتحدة و كندا كما انها تحتوي على المشاريع الأخرى للأبحاث التاريخية ٠ وهي بجملتها مفيدة للاطلاع على اعمال البحث التاريخي ٠ وقد تمكنت الجمعية من وضع اللائحة هذه بعد سؤال جميع دوائر التاريخ في الجامعات التي تمنح رتبة الدكتوراه

وجميع المعاهد التي يجري فيها بحث علمي • ووضعت بشكل جدول يتضمن ١٢٩٦ عنواناً وقسم هذا الجدول حسب ادوار التاريخ القديم والمتوسط والحديث وقسم كل دور حسب القارات والبلاد التي يتناول البحث تاريخها • واضيف بجانب موضوع كل اطروحة اسم الجامعة التي توضع فيها واسم المؤلف الذي يبحث في ذلك الموضوع •

ج • ع

النهران التوأمان (بالانكليزية) Twin Rivirs

تأليف : ستون لويد Seton Lloyd مطبعة اكسفورد ١٩٤٣

عدد الصفحات ٢٣٠ من القطع المتوسط

السيد لويد موظف بريطاني في مصلحة الآثار العراقية • رأى أن قسماً من تاريخ العراق قد بحث مفصلاً حين تحدث الاخصائيون عن مدنيات كالبابلية والآشورية مثلاً او حين أفاض المؤرخون العرب في الحديث عن الحقب الاسلامية الأولى وان قسماً آخر لم يوف حقه ، بالاضافة الى ان المهتم بتاريخ العراق كان مضطراً الى قراءة خمسة كتب ، على حد تعبيره ، ليطلع على هذا التاريخ ودون ان يتمكن من الحصول على وحدة فكرية متسلسلة فيما يتعلق بهذا التاريخ ، وبالاضافة الى حاجة الجيوش الأجنبية التي تمر بالعراق خلال هذا الحرب الى كتاب يقدم لها صورة صحيحة مقتضبة عن تاريخ العراق • ولذلك عمد الى نشر هذا الكتاب وحلاه بخرائط وصور وجداول وبدأ فمهد في الفصل الأول منه بكلمة سماها (تمهيد من خلال الخزف) ثم تحدث في الفصل الثاني منه عن (السومريين والأكاديين) وفي الثالث عن (الكلدانيين والآشوريين) وفي الرابع عن (الفرس الكيانية) [الأكمينية] وفي الخامس عن (الاسكندر والسلوقيين) وفي السادس عن (الفرس البارثيين) وفي السابع عن (الفرس الساسانيين) وفي الثامن عن (العرب : الخلفاء العباسيين) وفي العاشر عن (المغول والفرس والأتراك) وفي الحادي عشر عن (العرب : في القرن العشرين) — وسنقف قليلاً عند هذا الفصل — ثم يورد مصادر ويختم كتابه بفهرس للأعلام • والكتاب في مجمله تاريخ سريع شامل للعراق الشقيق يظهر

ثبت محمد بن عبد الرحمن الغزي

وصفه : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، يقع في ٩٧ صفحة بأبعاد ٢٤×١٦ سنتيمتراً ، حاله حسنة ، خطه مقروء ، عدد أسطره يختلف بين ٣٠ و ٣١ سطراً .

ترجمة صاحب الثبت : هو ابو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق ولد سنة ١٠٩٦ هـ فنشأ في كنف والده وقرأ القرآن العظيم على الشيخ محمد بن ابراهيم الحافظ ثم تعلم الخط وطلب العلم على والده وجماعة من مشاهير العلماء في عصره وبرع في أكثر فروع العلم التي كانت تدرس في زمنه وصار عمدة في التاريخ والأدب وحفظ الأنساب والأصول وتراجم الأسلاف وألف تاريخاً سماه ديوان الاسلام جمع فيه تراجم جم غفير من العلماء والملوك ومشاهير الرجال وله قطع شعرية أورد المرادي بعضها منها قوله :

اذا نصحت قليل العقل نلت بذا ... عداوة منه لا تخفى مساويها
فالحمق داء قبيح لا دواء له ... قد قال فيه من الأشعار راويها
لكل داء دواء يستطب به ... الا الحماقة أعيت من يداويها

وقوله : ضيعت نقد شبابي لم أنل اربا ... من لذة العيش والآمال تنعكس
ثم انحنى غصن قدي بعد ضيعته ... حتى كأني له في الترب التمس [1]

وتوفي بدمشق سنة ١١٦٧ هـ ودفن بتربة مرج الدحداح خارج باب الفراديس .

موضوعه : قسم الغزي ثبته الى ثلاثة أبواب ذكر في الباب الأول نسبه وتراجم من وقف على ترجمته من سلفه من الحفاظ والأدباء وترجم في الباب الثاني مشايخه الذين اجتمع بغالبهم بدمشق ولازمهم ابان الطلب وقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول ترجم في الفصل الأول شيوخه في العلم وفي الثاني الشيوخ الذين اجتمع بهم بدمشق وغيرها وسمع من فوائدهم وترجم في الفصل الثالث جماعة من أقرانه الفضلاء واخوانه البارعين النبلاء . وذكر في الباب الثالث تراجم من وقف على ترجمته من مشاهير الرجال واتماماً للفائدة نورد في هذه العجالة خلاصة هذه الأبواب الثلاثة :

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لمحمد خليل المرادي .

ذكر الغزي في الباب الأول من ثبته نسبه ثم ترجم أحمد بن عبد الله بن بدر الغزي فقال : ولد سنة ٧٦٠ هـ ونشأ بغزة ثم رحل الى دمشق ودرس بعدة من مدارسها وتصدى للاقراء بالجامع الأموي وولي افتاء دار العدل وتفرد برياسة الفتوى بدمشق وصنف عدة كتب قيمة منها مختصر المهمات في ثلاث مجلدات وشرح الحاوي الصغير في أربع مجلدات وشرح جمع الجوامع لابن السبكي وله تعليق على صحيح البخاري في ثلاث مجلدات وتراجم رجال البخاري واختصار تاريخ ابن خلكان وغيرها.

وقال في ترجمة محمد بن أحمد ابي البركات رضي الدين الغزي : ولد سنة ٨١١ هـ وصنف مناسك الحج وطبقات الشافعية المسماة ببهجة الناظرين وسيرة السلطان الظاهر جقمق والنكت على المنهاج وتوفي سنة ٨٦٤ هـ ودفن بمقبرة الصوفية بدمشق المعروفة اليوم بالبرامكة .

وقال في ترجمة محمد بن محمد بن احمد الغزي : فقيه أصولي متكلم نحوي متفنن في العلوم العقلية والنقلية ولد بدمشق سنة ٨٦٢ هـ وصنف مصنفات كثيرة في عدة فنون منها ألفية في التصوف سماها الجوهر الفريد في أدب الصوفي والمريد وألفية في الطب سماها عرف النفحة في حفظ الصحة وألفية في علم الهيئة والدرر اللوامع في نظم جمع الجوامع ونظم قواعد العقائد للغزالي وقلائد العقيان في مورثات الفقر والنسيان للبرهان التاجي ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر وشرح عقيدة جمع الجوامع والخزرجية في العروض وارجوزة ابن مكي في المعاني والبيان ونظم رسالة السيد الشريف في المنطق سماها حسن المنطق وشرحها وجامع الملاحة في علم الفلاحة والتحفة الذوقية في النادرات الارتماطقية وغيرها . وتوفي بدمشق سنة ٩٣٥ هـ ودفن بتربة الشيخ ارسلان .

وقال في ترجمة محمد بن محمد بن محمد الغزي : علامة مفسر مناظر فقيه مجتهد في مذهب الشافعي ولد سنة ٩٠٤ هـ [وأخذ العلم عن مشاهير علماء عصره وبرع في سائر العلوم المعروفة في زمنه فألف فيها كتباً قيمة تشهد له بالنبوغ والعبقرية] منها التفسير الكبير المنظوم في أربع مجلدات ومختصره في مجلدين والتفسير المنثور الكبير

في اربع مجلدات وشرح تحفة ابن الوردي ومنتقى من صحاح الجوهري والعقد الجامع في شرح الدرر اللوامع وهو شرح نظم جمع الجوامع لوالده وشرح التوضيح لابن هشام ونظم منظومة في اسماء السفن ورسالة في اسماء الأسد وجزءاً في تسمية أعضاء الانسان وشرح المراح في الصرف وحاشية على شرح جمع الجوامع للعراقي وشرح الياسمينة في الجبر والمقابلة وشرح المنهاج الكبير في ست مجلدات وشرح المنهاج الصغير في مجلدين وله حاشيتان على شرح المنهاج للمحلي كبرى وصغرى وشرحان على الرحبية مطول ومختصر والحدود الفقهية وخصايص النبي ﷺ ورسالة في لعب الشطرنج وطبقات الفقهاء نظماً والدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد والحلة السندسية في الرحلة المقدسية وديوان شعره والفتاوي الكبرى وغير ذلك من المؤلفات القيمة . وتفرد برياسة الفتوى بدمشق اكثر من أربعين سنة وقد أفرد ولده نجم الدين محمد الغزي ترجمته بتأليف على أربعين باباً فجاء في مجلد ضخم سماه بلغة الواجد في ترجمة شيخ الاسلام الوالد . وتوفي بدمشق سنة ٩٨٤ هـ ودفن بمقبرة الشيخ ارسلان .

وقال في ترجمة زكي الدين ابي يحيى زكريا بن محمد بن محمد بن محمد الغزي : عالم فاضل طلب العلم على شيوخ عصره وبرع في الفقه والنحو والفرائض والحساب والمعاني والبيان واجاز له شيوخه بالافتاء والتدريس فأفتى ودرس بالجامع الأموي بدمشق وانتفع به خلق وله نظم كثير وجمع مجاميع كثيرة بخطه الحسن وتوفي سنة ١٠٣٠ هـ ودفن بتربة الشيخ ارسلان بدمشق .

وقال في ترجمة زين العابدين بن علي بن محمد الغزي : ولد سنة ١٠١٢ هـ فقرأ القرآن الكريم وحفظ مختصرات في الفقه والفرايض والنحو ثم طلب العلم على جماعة من علماء عصره وأجازه شيوخه بالافتاء والتدريس فأفتى ودرس بمحراب الصحابة بالجامع الأموي وقرأ عليه كثيرون وانتفعوا بعلمه ومن مؤلفاته شرح على التحفة القدسية في الفرايض وحاشية على شرح كشف الغوامض لسبط الماردبني ورسالة في الكلام على الكسور العددية وتوفي سنة ١٠٦٢ هـ ودفن بتربة الشيخ ارسلان بدمشق .

وقال في ترجمة والده عبد الرحمن بن زين العابدين بن زكريا الغزي : فرضي نحوي أديب ولد سنة ١٠٤٨ هـ وقرأ مبادئ العلوم على شيوخ عصره واشتغل بالفقه راجيز بالافتاء والتدريس وتوفي بدمشق سنة ١١١٨ هـ ودفن بتربة مرج الدحداح .

ثم ذكر الغزى في ثبته تراجم شيوخه في العلم مرتبة على حروف المعجم وهم : ابراهيم بن محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسيني الحنفي الدمشقي المحدث النحوي، أحمد بن محمد بن احمد بن النخلي الصوفي النقشبندي الشافعي المحدث الفقيه ، الياس بن ابراهيم بن داود بن خضر الكوراني ثم الدمشقي الصوفي الشافعي ، تقي الدين بن شمس الدين بن محمد بن محب الدين الحصني الدمشقي الشافعي الفقيه الصوفي، خليل بن احمد بن عبد الرحيم ابن اسماعيل الدسوقي الشافعي الفقيه ، عبد الجليل العلامة المحقق المدقق الحنبلي الدمشقي ، عبد الرحمن بن محي الدين السليمي الحنفي المعروف بالمجلد ، عبد الرحيم الكاملي الهندي الحنفي ، عبد الرحيم بن محمد الميداني الفقيه الحنفي النحوي الفرضي ، عبد الغني بن اسماعيل ابن عبد الغني بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم بن اسماعيل المعروف بالنابلسي الامام العالم صاحب المصنفات الكثيرة ، عبد القادر بن عمر بن عبد القادر بن عمر بن أبي تغلب العالم الفقيه الفرضي العابد الناسك ، عبد الكريم بن سعود بن محمد نجم الدين الغزي العالم الناسك ، عثمان بن حمودة الرحيبي ثم الدمشقي الفقيه الشافعي ، عثمان بن محمد المعروف بابن الشمعة الدمشقي الشافعي الواعظ، ابو الطاهر محمد بن ابراهيم الكوراني المدني الشافعي ، ابو المواهب محمد بن عبد الباقي بن عبد الباقي شيخ القراء والمحدثين مفتي المذهب الحنبلي ، محمد بن علي بن محمد الكاملي الدمشقي الفقيه الشافعي الواعظ ، محمد بن محمد بن محمد بن احمد بن حسن بن علي البديري الدمياطي الشهير بابن الميت الفقيه الشافعي النحوي المحدث مفتي دمياط وعالمها ، محمد الخليلي العالم الفقيه الشافعي الأصولي الصوفي ، نور الدين الدسوقي الفقيه الشافعي المحدث ، ويونس بن احمد المحلي الأزهري العالم الفقيه الشافعي .

وترجم الغزي في الفصل الثاني من الباب الثاني من ثبته الشيوخ الذين اجتمع بهم بدمشق وغيرها وسمع منهم وهم : احمد بن عبد الكريم بن سعود الغزي النحوي مفتي الشافعية بالشام ، احمد بن كمال الدين بن محي الدين البكري الصديقي الدمشقي

الحنفي قاضي القضاة ، صادق الشرواني القسطنطيني مفتي الديار الرومية ، عبد الباقي ابن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي النحوي ، عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن الموصلي الشافعي الصوفي ، عبد السلام بن محمد بن علي الكاملي الدمشقي الفقيه الشافعي النحوي الأصولي ، محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد العمادي الفقيه الحنفي الكبير والأديب النحرير مفتي دمشق ، محمد الأمين بن فضل الله بن محب الله ابن محب الدين الدمشقي الحنفي المؤرخ الأديب ، محمد بن الطيب المحدث اللغوي الأديب الفاسي ، محمد مراد الكشميري النقشبندي الحنبلي العالم الزاهد العابد ، مصطفى بن مصطفى بن سوار الدمشقي الفقيه الشافعي ، ويحيى الدجاني المقدسي الشافعي الخلوتي العابد .

وترجم في الفصل الثالث من الباب الثاني جماعة من اقرانه الفضلاء وهم : اسعد بن اسحاق بن محمد الشهير بابن المنير الشافعي الدمشقي العالم المقرئ ، أسعد بن محمد بن علي المعروف بابن الطويلة المجلد الدمشقي الفقيه الشافعي الواعظ ، سعدي بن عبد القادر بن تقي الدين الشهير بابن عبد الهادي العمري الشافعي الأديب العالم الناظم الناثر ، محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم التركماني الأصل الدمشقي المولد والمنشأ المعروف بالدكدكجي الحنفي الصوفي الأديب ، مصطفى بن عبد الحق النابلسي الدمشقي الفقيه الحنبلي الفرضي ، محمد بن عبد الجليل بن ابي المواهب العالم الفاضل مفتي الحنابلة بدمشق ، ومصطفى بن عبد القادر بن تقي الدين الشهير بابن عبد الهادي العمري الشافعي الدمشقي البارع في النحو والمعاني والبيان والبديع .

وترجم في الباب الثالث ابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد .

عمر رضا كحاله

آراء وانباء

هذه استدراكات على نفسي فيما ورد من مقالتي «أقول في المقول» وعلى غيري من المساهمين الكتابة في مجلتكم الزاهرة أرجو نشرها .

١ — ورد في المجلد ١٨ ص ٣٥٠ قولي «ومثل هذه القبة قبة الزبير الصحابي — رض — قرب البصرة الحديثة قال ...» والصواب «قبر الحسن البصري التابعي» وهذا مستوجب للاستغناء عما ورد بعده من قول كمال الدين ابن الفوطي .

٢ — وجاء في المجلد ١٨ ص ٣٧٦ منها كلمة على «تاريخ الحافظ ابن كثير» وهي كلمة نافعة ، بينة الفائدة ، وإنا زائدون عليها من الأنباء الأدبية ما هذا تلخيصه وشرحه :
رأينا في دار الكتب الوطنية في باريس سنة ١٩٣٥ كتاباً خطياً في التاريخ عظيم الفوائد حاوياً للفرائد ، رقمه «٥١٦ : عربي» وفي الصفحة الأولى منه ماهذه صورته :

تاريخ ملخص من تاريخ ابن كثير وفيه زيادات وفوائد من تواريخ غيره — رحمهم الله — » وقد ابتدأ المجلد بحوادث سنة ٦١٦ وفي الورقة المرقومة برقم «٢»:
«الحمد لله صح هذا الكتاب تأليف الشيخ الامام الحافظ أبو العباس (كذا) احمد بن ابي بكر بن خليل بن علي بن عبد الرحمن الطبراني الكاملي الحنبلي ، إمام الكاملية بدمشق المحروسة بجامع الأموي (كذا) ، توفي المؤلف في ليلة السبت بين المغرب والعشاء تاسع عشر صفر سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، عن نيف وتسعون (كذا) سنة — ر ح — وذكر الشيخ — رح — أن هذا التأليف اصله كتاب «البداية والنهاية» للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير ، والشيخ الطبراني ، زاد فيه بعض فوائد (كذا) — رحمة الله عليهم — ووفاة الحافظ ابن كثير في سنة اربع وسبعين وسبعمائة» .

وجاء في الورقة «٨٣» منه في حوادث سنة ٦٥٧ قوله : «وفيها توفي من الأعيان واقف الصدرية الرئيس صدر الدين أسعد بن المنجى ... استجد أشياء كثيرة منها سوق النحاسين قبلي الجامع . قلت : وقد صار سوق التجار في زماننا هذا في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بعد تمرلنك . قال المؤلف : ونقل الصاغة ...»

وفي الورقة «٢٧٥» خاتمة هذا نصها «قلتُ : هذا آخر ما أرخ شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة وقد كانت وفاة البرزالي في العام القابل وهو محرم بمنزله خليص . وقد ذيلت على

تاريخه — ر ح — الى زماننا هذا، وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وخمسين وسبعمائة أحسن الله خاتمتها آمين . الى هنا انتهى ما كتبته » « نُقل من نسخة بخط الشيخ العلامة ابي العباس احمد الطبراني الكاملي التي نقلت منها هذه النسخة . قال كاتبه أبو العباس احمد ابن ابي بكر بن خليل بن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الطبراني الكاملي — عفا الله عنه — ... فرغتُ من كتابة هذا التاريخ وهو البداية والنهاية جمع الامام العلامة محدث الشام ومؤرخ وفيات الأعيان من أهل الاسلام أبي الفداء عماد الدين اسماعيل ابن كثير البصروي الشافعي — ر ح — وقد أدركناه ورأيناه وسمعنا عليه صحيح البخاري بقراءة ابن الفخر المصري وابن السراج حين قدومه الى دمشق قبل وفاته بسنة أو أزيد في سنة ثلاث او اثنين (كذا) وسبعين وسبعمائة ... قال كاتبه : وقد زدتُ في هذا الكتاب أشياء حسنة مع استيفاء كلام المصنف في تراجم الأعيان وغيرها وفي الكلام على الحوادث الواقعة في سائر الأزمان والبلدان وذكرتُ الزيادة بعد كلام المؤلف هكذا زيادة وذلك مما يوافق كلام المؤلف في ترجمة الرجل المذكور مما وصل الينا علمه ... »

وفي ليلة السبت بين المغرب والعشاء تاسع عشر صفر سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، توفي الى رحمة الله ... شهاب الدين ابو العباس أحمد بن أبي بكر بن خليل بن علي ابن عبد الله بن عبد الرحمن الطبراني الكاملي ، أصله من كفر كنا من معاملة طبرية ، قرأ القرآن وهو صغير وحبّب اليه الصلاة وقراءة القرآن ... ثم رحل الى دمشق وسمع بها الحديث ... وسكن بجامع دمشق [الورقة ٢٧٦] ولازم الامامة بالجامع الى وقعة المخذول تيمورلنك وضرب الجامع ، ثم سكن الصالحية ... « وكتب كتباً كثيرة ، منها هذا التاريخ ، كتبه بالصالحية وزاد فيه زيادات كثيرة حسنة ... وتوفي وعمره نيف وتسعون سنة ودفن بسفح جبل قاسيون » اهـ .

قال مصطفى جواد : إنّ الأستاذ محمد راغب الطباخ لم ينقل في ملحوظته قول ابن كثير الذي نقلناه فيما أسلفنا من المنقول الخاص باستمراره في التأريخ واستدامته لتقييده إلى عصره ، ونصه « وقد ذيلتُ على تاريخه — ر ح — الى زماننا هذا[1] »

(١) وورد مثل هذا القول في نسخة دار الكتب البرلينية [١٠٦٩ عربي] .

فيجب على الباحث إيضاح هذا القول ، وأن يبين ما معنى قوله «ذيلتُ على تاريخ البرزالي الى زماننا» ؟ فمن المعلوم أنّ تاريخ البرزالي العلامة انتهى بسنة ٧٣٨ ، ومن المعلوم أنّ انتقاء ابن كثير من تاريخ البرزالي ، تمّ في سنة ٧٥١ كما ذكر ابن كثير نفسه ، وهذا يدل دلالة صريحة على انّ تاريخ ابن كثير «البداية» انتهى بانتهاء تاريخ البرزالي المنتقى منه ، وان ابن كثير ألف تاريخاً آخر هو «الذيل على تاريخ البرزالي» الى زمانه ، لأن تاريخ البرزالي ذيل على تاريخ ابي شامة الذي هو ذيل الروضتين للمؤلف نفسه ، فاثبات أن ما بعد حوادث سنة «٧٣٨» من البداية ، هو لغير ابن كثير لا يمنع ان يكون له تاريخ آخر دخل فيه ذيله أو بعضه أو اكثره ، فأين ذيل تاريخ البرزالي لعماد الدين بن كثير ؟ والا يكن القائل غير ابن كثير !! ويزداد الأمر إشكالاً بأنّ تقي الدين بن رافع العلامة المحدث المؤرخ المشهور ذيل على تاريخ البرزالي من سنة ٧٣٨ الى سنة ٧٧٤ ومن الذيل نسخة في دار الكتب القوطية رقمها «١٧٥٨ عربيّ» أما ذيل شهاب الدين ابي العباس أحمد بن حجي السعدي على تاريخ ابن كثير فقد أشار اليه جرجي زيدان وذكر كونه بدار الكتب البرلينية[1] ولعله أشار الى كتاب «عبر الأعصار وخبر الأمصار» ورقمه «٩٤٥٨ عربي» وهو للحافظ شهاب الدين ابي العباس الحسباني السعدي المذكور وذكر المفهرس أنه ولد سنة ٧٥١ وتوفي سنة ٨١٦ ، وقد أشار اليه الأستاذ الفاضل الطباخ .

وقد علمنا من كتاب «مشيخة محمد بن محمد بن سليمان المغربي المالكي» آخر المحققين لعلم المنقول وعلم المعقول بالحجاز[2] أن تاريخ ابن كثير موسوم بالمغني عن حمل الأسفار في الأسفار بمعرفة ما في الأحبار من الأخبار .

٣ — وجاء في ص ٣٧٨ تحقيق جميل لصديقنا الأستاذ المحقق كوركيس عواد في ترجمة مؤلف «معالم الكتابة ومغانم الاصابة» ، وقد راجعت نسختي من هذا الكتاب

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٩٦ .

(٢) [صلة الخلف بموصول السلف] في مجموعنا المظلم [أصول التاريخ والأدب مج ٥ ص ٢٠٨] ولد مؤلفه — أعني صلة الخلف سنة ١٠٣٩ وتوفي بدمشق سنة ١٠٩٤ ، وروايته عن الشهابين الملوي والجوهري والشمس الشباوي والسيد عبد الحي بن الحسن البهلسي والسيد عمر بن عقيل والشهاب أحمد ابن عبد الرحمن الدشبولي والنجم عمر بن يحيي بن مصطفى الطملاوي وغيرهم .

فوجدتُ في تعليقي على أوله : أنّ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي العلامة المؤرخ الأديب المشهور قد ترجمه أيضاً في كتاب « الوافي بالوفيات » بعد ان ذكره في الكنى والألقاب من باب « الشين » وذكر ابنيه ابراهيم بن عبد الرحيم الملقب بكمال الدين وعلي بن عبد الرحيم الملقب بعلاء الدين . وفي التعليق اشياء أخرى . والطريف في هذا الأمر قول الطابع لمعالم الكتابة : « ولم أجد ذكراً لمؤلف الكتاب فيما وصلت اليه يدي وبلغت اليه أبحاث الأصدقاء الأدباء ... » فالظاهر أن يده وأيديهم قصيرة .

٤ — وجاءت في ص ٣٧٩ من المجلد كلمة لصديقنا المذكور فيها ترجمة لمؤلف كتاب الطبيخ « ابن الكريم البغدادي » وكنا نحن نشرنا ترجمته في جريدة العراق سنة ١٩٣٤ نقلاً من عيون الأنباء لابن ابي أصيبعة « ج ١ ص ١١٥ ، ١١٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ » وغير ذلك ، وكان ابن ابي أصيبعة يعتمد على هذا الأديب العلامة في معرفة أخبار الحكماء والأطباء العراقيين في عصر ابن الكريم نفسه ، وكنا نقلنا في التعليق على ترجمة أبي بكر عبيد الله بن علي المعروف بابن المارستانية الأديب الفقيه الحكيم مؤسس دار العلم المنسوبة اليه ببغداد قديماً . في المجلد التاسع من تاريخ ابن الساعي الموسوم بالجامع المختصر ... وقد طبعناه ببغداد سنة ١٩٣٤ ، ما هذه صورته « قال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن محمد بن الكريم البغدادي الكاتب : عمل [ابن المارستانية] خطباً وكان يعرضها على شيخنا ابي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري فكان يستجيدها [1] » . ونزيد على ذلك وعلى ما ذكره الصديق المحقق ، خبر وفاته الوارد في « تذكرة الحفاظ » مع أخبار وفيات سنة ٦٣٧ ، قال شمس الدين الذهبي : « والمفيد الإمام الأديب شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن عبد الكريم البغدادي الكاتب عن ثمان وخمسين سنة [2] » . ولقبه عند كمال الدين المبارك بن الشعار مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان وغيره من الكتب الأدبية هو « عون الدين » ومن كتابه نقل

(١) الجامع المختصر ج ٩ ص ١١٢ ، نقلاً عن عيون الأنباء [ج ١ ص ٣٠٦] (٢) تذكرة الأئمة البررة والحفاظ المهرة ، للذهبي [مخط . رقمه ٥٩٠٦ من دار الكتب الوطنية بباريس ، الورقة ١٦٩] و (ج ٤ ص ٢٠١) من طبعة الهند

كمال الدين بن الفوطي فقال : «عون الدين ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم البغدادي الأديب المحدث يعرف بابن الكريم ، ذكره كمال الدين ابن الشعار في كتاب «عقود الجمان» وقال : كان ذا أدب وافر وفضل زاهر وأنشد له :

متخلف إن جئته لم تلقه للهم فارج
وتراه يستمع المدا ئح ثم لا يقضي الحوائج

واستوطن دمشق وبها مات سنة ثلاثين وستمائة (كذا)[1]» ، وفي تاريخ وفاته سهو من المؤرخ والصواب سنة ٦٣٧ كما قدمنا ، وكما أسلف الصديق ورأينا في الجامع المختصر أن قريباً له كان صوفياً إليه مشيخة رباط أرجوان والدة الامام المقتدي بأمر الله فقد ذكر في حوادث سنة ٥٩٦ تولي الشيخ عفيف الدين اسفنديار بن الموفق البوشنجي لرباط ارجوان بدرب زاخى ببغداد ، وذلك بعد وفاة شيخه أبي منصور الحسن بن علي بن محمد المعروف بابن الكريم الصوفي[2] ، وذكر الامام المفيد ابن الدبيثي ترجمة جده محمد بن علي بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله الكاتب ، وأنه يعرف بابن البقراني (كذا) ، ثم قال : «قال محمد بن الحسن : توفي جدي محمد بن علي ...» فمحمد بن الحسن هو مؤلف كتاب الطبيخ — رحمه الله — . ولم يترجمه ابن الدبيثي في تاريخ بغداد فعسى ان نجد ترجمته مفصلة في تواريخ أخرى .

(بغداد) مصطفى جواد

ذكرى الغلاييني

اقيم في كلية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت حفلة لإحياء ذكرى المرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني عضو المجمع العلمي العربي وذلك في ١٧ شباط سنة ١٩٤٥ وقد اشترك في هذه الحفلة الحكومتان السورية واللبنانية وتكلم عدد من أهل العلم والفضل وناب عن المجمع في هذه الحفلة الأستاذ احمد رضا فألقى كلمة لطيفة نقتطف منها ما يأتي :

عهد إليّ مجمعنا العلمي العربي بدمشق ان أمثله بتأبين الراحل العزيز . فأنا أنطق بلسان مائة نحرير من جهابذة العربية في الشرق والغرب ينتظم منهم عقد المجمع وقد كان علامتنا الفقيد أحد اعلامهم دخل اجزل الله ثوابه المجمع سنة ١٩٢٧ م على ما اذكر بعد رجوعه من فلسطين وقدمه يومئذ الى المجمع رئيسه صاحب المعالي الأستاذ محمد بك كرد علي

(١) ابن الفوطي في مجمع الآداب في معجم الألقاب مخطوط ، الورقة ١٥٦ من نسختنا .
(٢) ج ٩ ص ٢٣

وثنيت باقتراحه ووافق عليه الأعضاء بالاجماع لما عرفوه من فضله وعلمه واختصاصه بعلوم اللغة . وقد كان ولوعه بالعربية وعلومها ينشأ معه منذ الصغر فقويت بها نفسه وساعده على التقدم فيهــا ما وهبه الله له من جودة الذهن وصفاء الفطرة . وأولع بالشعر حدثاً فنظمه غلاماً قبل ان يدري ما النحو وما العروض كما قال هو عن نفسه وانما كان ينظمه بشعوره الفياض بحب أمته وبتحرير وطنه فنشأ ذليق اللسان رشيق البيان جريئاً في القول والعمل لا يبالي بالصعاب وساعده هذا الولوع ورغبته في التجويد وطموحه الى معالي الأمور على الاضطلاع بالعلوم العربية ولا سيما بعد ان تولى تدريسها في المكتب السلطاني والكلية الاسلامية عدة سنين وأخرج للطلاب حلقات من كتبه في النحو والعروض فكانت بحسن ترتيبها وتبويبها وسهولة عبارتها مناراً لهم ونبراساً . واجتذب اليه قلوب الطالبين فوعوا منه الوطنية الصحيحة والعروبة المتوقدة . وأنجب منهم خير شبيبة للوطن تقرّ بهم عينه . ومنهم شبابنا العاملي العامل على نهضة وطنه وجلهم بل خيرتهم ممن تخرّج عليه .

ولما أعلن الدستور العثماني وذرّ قرن النهضة العربية ظهر نبوغ الفقيد في الشعر والخطابة وانتقاد السياسة والساسة . وأنشأ مجلة النبراس فكانت كاسمها . ثم اتسع له المجال فاندفع في الشعر والخطب وجاهد وجاهر حتى جرّ ذلك عليه من الدواهي وضروب الاعتقال السياسي ما شهدته السجون العسكرية في بيروت وجزيرة ارواد وتحدثت به منابر فلسطين وعمان .

أما اضطلاعه اللغوي فهو ظاهر في مباحثه النافعة ولا سيما في كتابه « نظرات في اللغة والأدب » الذي يشهد له بالاحاطة وسعة التحقيق وبعد الغور .

وأما مذهبه في اللغة فهو مذهب المصلح غير المتشدد فكان يرى التجدد في اللغة على ان لا تنقطع معه الصلة بالماضي ويقول في ذلك « فكل ما يوافق اللغة مجازاً او اشتقاقاً او قياساً وكان مقبولاً عند أهل الذوق السليم وكنا في حاجة اليه جاز لنا استعماله وان لم يستعمله الجدود » فالمولد على هذا صحيح فصيح على شرطه وبقي العلامة الفقيد بدأب في جهوده النافعة الا ما اخذه من وقته القضاء الشرعي الذي تولاه في بيروت فقد شغل به وقلت مساعدته من أجل ذلك للمجمع في أبحاثه القيمة الى ان ادركته المنية وفقد بفقده مجمعنا ركناً من أركانه ولغوياً مهذباً من علمائه درج مع من درج من اعلامه الراحلين وخلف الباقين مدّ الله في أعمارهم وكأنهم نجوم سماء خرّ من بينها البدر .

احمد رضا

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد العشرين

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء